

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

الاعوانات

يتفق عليها مع الادارة

العدد الحادى عشر ، القاهرة فى يوم الخميس ٢٢ صفر سنة ١٣٥٢ - ١٥ يونيه سنة ١٩٣٣ ، السنة الاولى

obeikandi.com

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

الاعوانات

يتفق عليها مع الادارة

الدراسة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

العدد الحادى عشر ، القاهرة في يوم الخميس ٢٢ صفر سنة ١٣٥٢ - ١٥ يونية سنة ١٩٣٣ ، السنة الاولى

من بريد الرسالة

جواب الانسة حياة

وكتاب آخر فرنسى اللغة ، أنيق الشكل ، جيد الخط ، رائق الأسلوب ، هادى البيان ، أتانا من الانسة حياة ١١ فعبجت من اصرار هذا اللسان الاجنبى على التدخل الفضولى بين لسانين عربيين ! ولكنى لم أكد أسير فى قراءته حتى تساور عن نفسى العجب ، وتراجع عن وجهي القطوب ، واتضح فى ذهنى العذر ، وملكتنى سورة من الحق المرعى نظمنا التربوية والتعليمية التى شوهدت فى النشء عواطف الجنسية ، وشئت فى الشعب معاني الوحدة ، وأخفقت كل الاخفاق فى تكوين أمة واحدة النزعة والوجهة والثقافة .

تقول الانسة الفاضلة : " ... نعتت على " أنى كتبت اليك بالفرنسية ، والسبب فى ذلك بعيد كل البعد عن التطرف والحذقة (Pédantrie) والله يعلم وصواحي يشهدن بما كان بينى وبين الراهبات الملمات من الجدل العنيف كلما تعرضن لديتنا بالغمز ، أو لتاريخنا بالعبث ، أو للفتنا بالزراية . . . إنما أنا ومثلاقى ضحية من ضحايا نظام مدرسى لم يقم إلا لتعليم الفتى (ميكانيكية) الحكومة . لأن قيامه لهذه الغاية جعل من طبيعته اغفال أمر البنت ، فلجأها أولياؤها إلى المدارس الأجنبية ، فنشأت هذه النشأة البتراء المشوبة ، لاتعرف عن دينها إلا الشبه ، ولا من لغتها وأدبها غير القشور .

فهرس العدد

صفحة

- ٣ من بريد الرسالة : احمد حسن الزيات
- ٥ من طه الى هيكمل : للدكتور طه حسين
- ٥ الى الاستاذ توفيق الحكيم : من الدكتور طه حسين
- ١٠ أدب اللفظ وأدب المعنى : للاستاذ احمد أمين
- ١١ نظرة فى نظام بيعة الخلفاء : للاستاذ محمد فريد أبو حديد
- ١٤ خواطر فى الشعر العربى : للاستاذ محمود البشيشى
- ١٥ من أدب الجاحظ : للاستاذ توفيق الحكيم
- ١٧ ثقافة المرأة : للانسة أسماء فهمى
- ١٩ الى الله : للانسة ناهد محمد فهمى
- ١٩ الادب والحياة : للاستاذ زكى نجيب محمود
- ٢٢ فى الادب الثرى : ترجمة يحيى جركس
- ٢٢ الذكرى : لاسماعيل المظلم
- ٢٣ مآثر العرب فى الفلك : اقدرى حافظ طوقان
- ٢٦ شوقية لم تنشر : اصداء الربيع : لرفيق فاخورى
- ٢٧ ناعم كمال : للدكتور عبدالوهاب عزام
- ٢٩ شاتوبريان ، عرب فلسطين : للاستاذ أبى قيس
- ٣٩ الرياح : للدكتور محمد عوض محمد
- ٣٤ سفروت الحاروى : م . م . م
- ٣٦ الى بثر جندلى : للاستاذ الدمرداش محمد
- ٧٣ ثورة الادب : من هيكمل الى طه : للدكتور محمد حسين هيكمل بك

لو كنت كتبت اليك بعريقتي لحسبتي طفلة تجمعهم بالكلام ولاتين! ويكون من وراء ذلك أنك لاتفهمنى ولاتفهم عني ، فككتبت اليك بالفرنسية لأن الانسان يميل بطبعه الى جهة القدرة لا الى جهة العجز ، ويؤثر بغريزته جانب الكمال على جانب النقص ، ولئن تعرضت بذلك الى غضبك ، فقد نجوت والله الحمد من سخرتك . وسخطك على أحب الي كرامتي من استخفافك بي .

ما كان اسعدني لو ملكت من لغتنا ما تملك فترجمت عن نفسي بمثل ما ترجمت عني في الفقرات التي نشرتها من كتابي !! أنا الآن أعالج في نفسي هذا النقص بالدرس المستمر لآداب العربية ، وتكاد (الرسالة) ان تكون الوسيلة الوحيدة لهذا الدرس ، فأنا استوعب ابوابها المختلفة ، وأتذوق اساليبها المتنوعة ، ويخيل الى اني قطعت الى غايي مرحلة كبيرة . ولكنني أجد في (الرسالة) نفسها ان زعماء الكتاب لا يزالون ينتقدون زعماء الكتاب في مبادئ النحو وبسائط التراكيب !! فليت شعري أأقظ من دراستي أم أستمر ؟؟

والآنسة الفاضلة تسمح لي أن أقف هنا في ترجمة كتابها لأعجل بالنصيحة لها ان تستمر ، فان العربية لا طراد قواعدها في القياس ، واتفاق تراكيبها مع الطبع ، ابسط اللغات نحواً واقرّبها غاية . ولكن آفتها ياسيدتي منهاج سيء ، ومعلم عاجز ، وتلبذ كسول !! وستقرئين في الرسالة بعد صفحات من هذه المقالة بحثاً قيماً في ثقافة المرأة للآنسة أسماء ، وشعرا منشوراً في التصوف للآنسة ناهد ، فتجدين في صياغتهما الحسنة ، وعبارتهما الصحيحة ، واسلوبهما الرقيق ، مشجعاً لك ومصدقاً لي ..

جواب الآنسة عفيفة

أجابت الآنسة عفيفة عن تعليقي الموجز بكتاب انكليزي مسهب ، وقد فضلت ان تكتب جوابها بالانكليزية لأنها تتهم بيانها العربي بالقصور لقرب عهدها بالكتابة ، وتمتدّد لذلك اننا اسأنا الفهم فأسأنا الاجابة ، وبيان الآنسة سليم من اللقصور ، برى من العي ، لاتنا فهمناه على الوجه الذي ارادته . وهو رسالة غزلية الى امرأة عن لسان رجل . اما القصد من اتخاذ الآنسة (دور) الرجل في موضوع غرامى — وهذا موضع الانكار — فلم تذكره

الكتابة في حاشية الكتاب ، ولم نفهمه نحن من طبيعة الشيء ، فحملناه معذورين على العيب الذي نربأ بفقيائنا عنه .

ارادت الآنسة أن تكشف اليوم عن ذلك القصد في هذا الجواب ، فقالت: انها لم ترد أن تتحدث عن الحب ، وإنما قصدت أن تضع نموذجاً للرسائل الغرامية في اللغة العربية يكون مبنياً على الشعور الصادق والمنطق السليم ، لأنها تلقت رسالتين : واحدة من صديقة انكليزية ، وأخرى من صديقة مصرية ، فوجدت الأولى صورة صادقة لحياة الكتابة ، وحال البيئة ، وروح الجماعة ، ومن العاب وأصحاب ودرس ، ولم تجد في الثانية إلا عواطف مبهمة ، وجمل مزورة ، وأمثالا محفوظة . ثم قرأت كتابين أحدهما للكتابة (جين وبستر) والثانيهما للكتاب (سليم عبد الاحد) وموضوعهما « رسائل في الحب » ، فوجدت الفرق بين هذين الكتابين ، هو الفرق بين تينك الرسالتين

وانا أحترم تفسير الآنسة الادبية لقصدها وأسله من غير مناقشة ، وأعتذر اليها اذن من نقد في غير محله ، ولوم وجهته الى غير أهله . ثم أستمح سيدتي الاذن بمناقشة هذه الطريقة من حيث الفن . لك تنقدين ما قرأت من الرسائل العربية ، لأنها تصدر من اللسان لا من القلب ، وتنقل عن الحافظة لا عن الطبع ، فهل تعتقدين أنك صدقت في نقل شعور العاشق حينما أخذت (دوره) في رسالتك وأنت لاتحسين هذا الشعور ولا تدركين كنهه ؟ لعلك لو كنت أخذت (دور) الحبية أو (دور) (الخطية) لكنت أقرب الى الصدق وادنى الى الاجادة ، على ان هذه النماذج المصنوعة ياسيدتي أعجز من أن تعير الجامد روحاً والبليد حساً والعي ابانة ، ان الفكرة والعاطفة اذا اشرقت في الذهن أو في النفس وجدت الكلمة وخلقت الصورة على غير مثال ولا قاعدة ، ذلك لان الشعور وحده يوجد الفن كما ترين في توفيق الحكيم ، ولكن الفن وحده لا يوجد الشعور كما ترين في عبد الاحد . وان في الأدب العربي الحديث طرفة من هذا النوع الذي تريدن ، هي آية من آيات الفن في دقة الصنعة ، ولعلها لا تقل جمالا عن تماثيل فدياس وصور رفايل ، ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور يتقصها شيء واحد هو كل شيء : ذلك هو الروح !! هل قرأت (رسائل الورد) للاستاذ الرافعي ؟ ارجوان تقرئها ، وان تكتبي الى رأيك فيها ...

عبد الرحمن الزيات

الى الاستاذ توفيق الحكيم

من الدكتور طه حسين

أهـى العزير:

سيدى الاستاذ

لست أدري أيعننى حقاً ويعنى أصحابي، ان نعرف رأى الجيل الجديد فى جهدنا الأدبى وما أحدثنا من أثر فى حياتنا الأدبية الجديدة . لأن العلم الصحيح برأى المعاصرين لاسيلى اليه، أو لاتكاد توجد السيل التى توصل اليه . أو قل ان هذا الجيل الجديد نفسه قد يشق عليه جداً ان يصور لنفسه فينا رأياً صحيحاً مستقيماً بريئاً من هذه العواطف الحادة الجامحة التى تسيطر على نفوس الشباب، وتؤثر أشد التأثير فيما يكونون لأنفسهم من آراء فى الكتاب والشعراء المعاصرين . فهم بين معجب يدفعه الإعجاب الى الاغراق فى الثناء، وبين ساخط يدفعه السخط الى الاغراق فى الذم . وأكاد اعتقد أن ليس من اليسير لكاتب أو شاعر أن يعرف رأي الناس فيه حقاً، لأن هذا الرأي لا يظهر واضحاً جلياً بريئاً من تأثير العواطف والأهواء والظروف، إلا حين يصبح الكاتب أو الشاعر وديعة فى ذمة التاريخ . ومع ذلك فإنا أشكر لك اجمل الشكر رأيك فى أصحابي وفي، وثناك على أصحابي وعلى ويسرهم كما يسرنى ان يكون رأيك فينا صحيحاً، وأن يكون ثناؤك علينا خالصاً من الاسراف فى الحب الذى يدعو الى الاسراف فى التقدير .

لقد قرأت كتابك الممتع فترك فى نفسى آثاراً مختلفة، ولكن أظهرها الإعجاب بهذا التفكير المستقيم العميق، وهذا الاطلاع الواسع الغنى، وهذا الاتجاه الخصب الى تعرف الروح الأدبى لمصر فى حياتها الماضية والحاضرة والمستقبلية . وقد دفعنى إعجابي بكتابك القيم الى ألا اختص به نفسى فأثرت به قراءة الرسالة وأذعته فيهم . وأنا واثق بأنهم قد رأوا فيه مثل ما رأيت وحمدوا منه مثل ما حمدت، وأثنوا عليك بمثل ما أثنت، وهموا أن يناقشوا بعض ما جاء فيه من الآراء كما اريد أنا الآن ان اناقشها .

ولست أدري أيقف امر كتابك هذا عند اذاعته فى الرسالة وردى عليه، أو يتجاوزهما الى مناقشة طويلة عريضة، يشترك فيها كتاب مختلفون ونقاد كثيرون . فكتابك خليق بهذه المناقشة لأن أسلوب التفكير فيه جديد قيم، ومهما أفعل فلن أستطيع ان أتناول كل ما أشعر بالحاجة الى تناوله بالتقيد والتحجيص

قرأت كتابك الممتع الذى تنشره الرسالة اليوم وستنشره السياسة بعد غد وسيقرؤه الناس مرتين، فأذن لى فى ان اشكر لك هذا الكتاب اجمل الشكر لأنه راقى حقاً، وأثار فى نفسى من حبك، والاعجاب الشديد ببراعتك ولباقتك، ماثيره آثارك الأدبية كلها فى نفسى حين أقرؤها، وأأذن لى فى أن أعود فأثني عليك لأنى لن أنعب من الثناء عليك، ولن يعننى أن أدهشك أو أخجلك، لاني لم أعود قط ان احفل بدهشك أو خجلك، وانما تعودت أن اقول الحق سواء على أَرْضاك حتى انتهى بك الى الخجل، أم أسخطك حتى انتهى بك الى الثورة، أو إلى غضب هادئ فيه مكر، هو أشد من الثورة وأحد . فاخجل يا صديقى ما وسعك الخجل، وادهش يا صديقى ما وسعك الدهش، واغضب يا صديقى ما استطعت احتمال الغضب، فانت كاتب بارع، وأديب فذ كثير الانتاج كأنك الجني، قد أخذت تحب الاعلان بعض الشيء فى هذه الايام حتى انك لتنشر ردك على مرتين . وفيك اسراع الى الحكم وفتور عن البحث ورغبة عن الاستقصاء تضطرك احياناً الى الخطأ وتصرفك احياناً عن الحق . وفى اسلوبك الرائع البارع وبيانك الفائق الرائق شيء من الضعف يقربه احياناً من الابتذال . ويخيل الى أيها الصديق العزيز ان هذه الملاحظة وحدها هى التى ألمك بين الملاحظات الاخرى التى اخذت بها كتابك ثورة الادب، فأذن لى فى أن أصر عليها والى فيها . وأذن لى فى ان أصر ايضا على كل رأى فيك لا غير منه حرفاء ولا انقص منه شيئاً . فانت تجيد حتى تصل الى الابداع، وتضعف حتى تشرف على الابتذال . ولك ان تلومني ما شئت لأنى لم اهدك الى مواضع الضعف فى اسلوبك فقد ينسب من هدايتك، لأنك كما تقول محب لاسلوبك كما هو، مشغوف به على علاته، لا تريد ان تغيره ولا أن تصلح مواضع النقص فيه، وكل ما اخشاه ليها الصديق إنما هو ان تهمنى بالاسراف عليك والعلو فى نقدك، وقد كنت هممت أن اضرب الامثال من ثورة الادب لضعف اسلوبك فيه احياناً، ولكنى

« البقية على صفحة ٤٢ »

من آرائك الكثيرة المتباينة التي أفعمت بها كتابك افغاماً . ولكني أقف عند طائفة قليلة من هذه الآراء ، لا أستطيع ان أدعها تمضي من غير نقد ولا تعليق .

وأول ما أقف عنده من هذه الآراء رأيك فيما تسميه شؤون الفكر في مصر، قبل الجيل الذي نشأنا فيه ، فقد ترى ان هذه الشؤون كانت كلها محاكاة وتقليداً وتأثراً للعرب ، واحتذاء خالصاً لمثلهم الأدبية ، حتى جاء الاستاذ لطفي السيد ففتح لنا طريق الاستقلال الأدبي . وفي رأيك هذا شيء من الحق ، لكن فيه شيئاً من الاسراف غير قليل ، فلست أعتقد ان الشخصية المصرية بحيث من الأدب المصري محو تاماً في يوم من الأيام ، ولست أعتقد أن كلمة أنا لم يكن لها مدلول في لغة المصريين ، ولست أعتقد ان المصريين كانوا في شبه اغما حتى أقبل هذا الجيل الذي تحدث عنه ، فرد عليهم الحياة والنشاط . كل ما يمكن أن يصح لك هو ان الشخصية المصرية في الأدب كانت زاوية ذابلة الى حد بعيد في وقت من الأوقات لعله يبتدىء . بآخر عصر المماليك . ولكن هذه الشخصية على ذوبها وفورها لم تمت ولم تمح ، بل ظلت حية تتردد أشعتها الضئيلة في آثار الكتاب والشعراء والعلماء ، الى أن كان العصر الحديث . ويكني ان تقرأ الأدب المصري في أيام المماليك وقبل أيام المماليك ، لتعلم أن شخصيتنا الأدبية كانت قوية منتجة ، وكانت جذابة خلاصة في كل فرع من فروع حياتنا المعنوية . كانت في الشعر بنوع خاص أقوى منها في هذه الأيام ، وقرأ ديوان البهاء زهير فستجد صورتك فيه واضحة ، وستجد نفسك فيه ظاهرة ، وستجد عواطفك فيه ممتلئة ، وستجد هذا كله أشد جلاء وقوة عند هذا الشاعر القديم منه عند شعرائنا المعاصرين . والأمر ليس مقصوراً على هذا الشاعر ، بل هو شائع في شعرائنا جميعاً قبل فتح الترك لمصر . وهو كذلك شائع في كتابنا وعلماؤنا ، ولو قد كانت شخصيتنا ضعيفة فانيمة وفاترة واهية ، لما اتيج لنا ان تؤدي الحضارة الاسلامية ونحفظها من الضياع حين اخذ التار والاوربيون عليها اقطار الشرق والغرب . ولم تكن هذه الشخصية في عصور الضعف والوهن خفية ولا غامضة ، فانت تجدها واضحة في شعر هؤلاء الشعراء المتأخرين الذين عاشوا في اول القرن الماضي وفي أثنائه ، والذين لانحب شعرهم ولا نطيل النظر فيه ، والذين يخيل لنا انهم كانوا يقلدون فيسرفون في التقليد ، ولكنهم برغم هذا التقليد الشديد لم يستطيعوا أن يحوا مصريتهم ولا ان يخفوها . ولست أستطيع ان اضرب لك الامثال هنا فذلك شيء لا ينتهي ، ولكني أؤكد لك

ان حكمك على هذه الشخصية المصرية في الأدب يحتاج الى التصحيح ، وانت قادر على هذا التصحيح ، ان قرأت أدبنا المصري كما تقرأ الأدب الغربي وكما تقرأ الأدب العربي القديم ، ستجد فيه تقليداً ، وستجد فيه بديعاً كثيراً ، ولكنك ستجد فيه نزعة مصرية واضحة تحسبها حينئذ هبت ، وأبنا وجهت من ارض مصر ، وتجدها عند المصريين المماصرين الذين لم تخرجهم الثقافة الاوروبية عن اطوارهم المألوفة ، في الشعور والفكر وفي النظر الى الحياة والتأثر بها والحكم عليها .

هذه النزعة صوفية بعض الشيء ، فيها مزاج معتدل من الازعان للقضاء والابتسام للحوادث ، وفيها مزاج معتدل من حزن ليس شديد الظلمة ، ولا مسرفاً في العمق ، ومن سخريه ليست عنيفة ولا شديدة اللذع ولكنها على ذلك بالغة مقنعة ، تمض في كثير من الأحيان ، ولعلك تجد هذه النزعة نفسها قريباً جداً منك . لعلك تجدها في اهل الكهف . لجئنا اذن لم يحدث شخصية مصرية لم تكن ، وانما جلا هذه الشخصية وأزال عنها الحجب والاسرار ، وجئنا لم يمنحها الحياة ، وانما منحها النشاط ، وزاد حظها من الاستقلال وغير وجهتها ، فلفقتها الى الامام بعد ان كانت تصر على الالتفات الى وراء ، وليس هذا بالشيء القليل .

وأنا معجب بآرائك في الفن المصري ، وفي الفن الاغريقي ، ولكني لا أحب لك هذا الاسراع الى استخلاص الاحكام العامة ، واقامة القواعد التي لا تثبت للنقد والتحجيص . وآية ذلك أنك أنت نفسك قد أحسست بعض هذا الاسراع فاصلحته حين قضيت على اليونان في أول الكتاب ثم قضيت لهم في آخره . وسترى أنك أسرعت في الأولى وأسرعت في الثانية ، وكنت خليفاً أن تصطنع الاناة فيهما جميعاً . فليس من الحق أن اليونان كانوا أصحاب مادة ليس غير ، وليس من الحق أن روحية اليونان هذه التي أنكرتها في أول الكتاب ، وعرفتها في آخره قد جاءتهم من الالههم ديونيزوس وحده . فخط اليونان من الروحية قديم تجده بينا في شعرهم القصصي في الالباذة والادوسا قبل أن تظهر فيهم الآثار العنيفة لديونيزوس ، وأنت تعلم أن ظهور هذا الاله عند اليونان متأخر العصر ، وأنه في أكبر الظن إله أجنبي جاءهم من تراقيا ، وأنه لم يعطهم هذه الحياة الروحية العليا ، التي نجدها عند سقراط وعند تلاميذه ، وعند افلاطون بنوع خاص ، وإنما أعطاهم حياة روحية أخرى كلها تصوف وكلها طموح الى عالم مجهول مختلط تحيط به الأسرار والالغاز ، وتعبر عنه الرموز والكنيات .

وكان هذا النوع من الروحية ذا مظهرين مختلفين ، أحدهما شائع مشترك ، يساهم فيه الشعب كله ، وأهل الريف منهم خاصة ، والآخر مقصور على طائفة معينة ، هي هذه التي تتعلم الأسرار وتشارك في إقامتها وأحيائها . فكان دين ديونيزوس أشبه شيء بطرق الصوفية عندنا ، عليها الصحيح مقصور على خاصة المتصوفة ، ونشاطها العمل الغليظ شائع في أفراد الشعب جميعاً . وقد كان أثر ديونيزوس في الأدب اليوناني قوياً عميقاً ، وحسبك إنه إله التمثيل ، ولكن روحية اليونان الخنصة حقاً ، الممتازة حقاً ، التي أزعج معتذرا اليك أنك لا تستطيع أن تجد لها شبيهاً ولا مقارباً في مصر الروحية . هذه الروحية اليونانية تجدها واضحة جليلة ، عذبة ساحرة عند فلاسفة اليونان من تلاميذ سقراط ، وعند أفلاطون بنوع خاص . ستقول كما قال كثيرون من قبل : إن أفلاطون قذزار مصر ، وأخذ منها ولست أنكر روحية مصر ، ولكني لا أعرف عنها شيئاً كثيراً ، ولعل مدين اليونان بما أعرفه من الروحية المصرية . ومهما يكن من شيء فأنت توافقني على أن اليونان لم يكونوا أصحاب مادة خصب ، ولم تأتهم روحيتهم من ديونيزوس وحده ، وإنما اليونان مزاج معتدل من المادة والروح . هم الذين يحققون مثلك الأعلى من المزوجة بين المادة والروح ، والملازمة بين الحركة والسكون ، وبين القلق والاضطراب ، ولذلك كان اليونان هم الذين أخرجوا للانسانية في العصر القديم أرقى تراث في الأدب والفن والفلسفة . قلت إنى لا أنكر روحية المصريين . وأقول أيضاً إنى مؤمن بروحية الهنود ، ومعترف بتأثير الروحية المصرية والهندية في حياة اليونان . ولكني لا أعرف من روحية المصريين شيئاً كثيراً لأننا لا نعرف للمصريين فناً ناطقاً ، لا نعرف لهم أدباً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . وأنت ترى معي أن الأدب هو أوضح مصور لحياة العقول والقلوب ، لأنه يحقق مقداراً مشتركاً يمكن الاتفاق عليه ، ويصعب الاختلاف فيه . فحين إذا قرأنا الشعر أو النثر معا ، فهمنا فهماً واحداً أو فهمين متقاربين ، ولكن الفن الصامت فن البحث والتصوير وما اليهما يثير في نفوس الناس معاني مهما تكن متقاربة متشابهة ، فهي تختلف باختلاف الاشخاص والبيئات والعصور ، هأنذا تفهم من الفن المصري ما تفهم ، ويشاركك فيه كثير من المثقفين ثقافة أوربية ، ولكن أوافقك أنت حقاً بأن قدماء المصريين كانوا يرون تماثيلهم وعماراتهم كما تراها ، ويفهمونها كما تفهمها ، ويستلهمونها كما تستلهمها ؟ رأيك لو سألت مصرياً معاصراً الرسميس عن رأيه في تمثال من التماثيل ، أو عمارة من

العمارات ، يقول فيهما مثل ما تقول ؟ ومثل هذا يقال في الفن اليوناني ، وفي كل هذه الفنون الصامته ، فليس من الخير أن نعتد عليها وحدها في تشخيص عقلية الأمم وروحيتها ، إنما المشخص الصحيح للعقول والقلوب والأرواح هو الكلام ، والكلام الجميل الذي نسميه الأدب ونقسمه شعراً ونثراً . فالى أن يكشف لنا علماء الآثار المصرية عن أدب مصرى قديم خلق بهذا الاسم أرجو أن تأذن لى فى أن أشك فى كثير جداً من هذه الأحكام التى يرسلها الأدباء والشعراء وأصحاب الفن على عقلية المصريين القدماء وروحيتهم ، وبعدهم عن المادة ، وقربهم من الروح .

كل هذه عندى أحكام يتعجل بها أصحابها ، ويرسلونها على غير تحقيق ، وإذا فقد يكون من الأسراف أن تتخذ هذه الروحية المصرية الغامضة التى يسرع اليها الشك ، والتى تعجز عن أن تثبت للبحث ، والتى توشك أن تكون خيالاً تخيلته أنت وتخيّل أصحابك من الأدباء ورجال الفن أساساً لأدبنا المصرى الحديث . فن يدري لعل البحث عن آثار مصر ان يكشف لنا بعد زمن طويل أو قصير عن حياة مصرية قديمة تغاير كل المغامرة هذا الخيال الذى تحبونه وتطمشون إليه ، ويخيل اليكم ان الفن المصرى القديم يوحى ويميله وينطق به .

نحن إذا أمام أمرين : أحدهما عرضة للشك الشديد ، لأنكاد نعرف منه شيئاً ، والآخر لا سبيل إلى الشك فيه ؛ أحدهما حياة مصر القديمة وحضارتها العقلية - انصح هذا التعبير - والآخر حياة العرب وحضارتهم . فالى أى الأمرين نفرع لنقيم عليه بناء أدبنا الجديد ؟ الى الشك ام الى اليقين ؟ وهنا يظهر الخلاف بينك وبينى شديداً حقاً ، فقد اصلحت انت رأيك فى اليونان ، ولا أستطيع مناقشتك فى احكامك على المصريين لأنها أثر الالهام الفنى ، ولكن رأيك فى العرب وآثارهم فى حاجة شديدة جداً الى التقويم . فقد كنا نرى ان ابن خلدون جار على العرب فاذا أنت أشد منه جوراً وأقل منه عذراً . فقد يسر الله لك من أسباب العلم بالتاريخ القديم ، وتاريخ القرون الوسطى وتاريخ الحياة الأدبية والفنية والعقلية لمختلف الأمم والشعوب ما لم ييسره لابن خلدون . فاذا قبل من هذا المؤرخ الفيلسوف ان يتورط فى الخطأ لأن عقله الواسع لم يحيط من امور اليونان والرومان والهند والفرس والمصريين القدماء بما نستطيع نحن الآن أن نحيط به او نعلم فيه ، فليس يقبل منك انت هذا الخطأ وليس يقبل من المعاصرين بوجه عام . وقد ذهب الى مثل ماذهبت اليه جماعة من المستشرقين منهم دوزي وريتان ، وأحسبكم جميعاً تظلمون العرب ظلماً شديداً وتفضون فى أمرهم بغير الحق .

فلو أنكم ذهبتُم تقارنون بين العرب وبين الهنود والفرس ،
والمصريين القدماء لما كان من حَقِّكم ان تقدموا هذه الأمم في
الأدب على الأمة للعربية بحال من الأحوال ، لانتا لانكادنعرف
من آداب هذه الأمم في تاريخها القديم شيئا يقاس الى ما بين
أيدينا من الأدب العربي . فالى ان يستكشف ادب هذه الأمم
ان كان لها ادب اكثر من هذا الذى نعرفه ، يجب ان تؤمن
للعرب بالتفوق عليها في الشعر والنثر جميعا . للمصريين فنهم ، وللهنود
قصصهم وفلسفتهم ، ولكن للعرب شعرهم ونثرهم ودينهم ، ولهم
قصصهم أيضا . فاذا اردت ان تقارن بين العرب والرومان فأظنك
توافقنى على ان الأدب العربي الخالص ارقى جدا من الأدب
الرومانى الخالص ، اى ان الأدب الرومانى انما ارتقى حقا حين
اثر فيه الأدب اليونانى ، فالرومان تلاميذ اليونان في الأدب والفن
والفلسفة ، والعرب يشبهونهم في ذلك . ولكن العرب كان لهم ادب
يمتاز قبل ان يتأثروا بالحضارة اليونانية ، ولم يكن للرومان من
هذا الأدب الرومانى الممتاز الخالص حظ يذكر . وقد تفوق
الرومان في الفقه ، ولكنهم لم يسبقوا العرب في هذه الناحية
من نواحي الانتاج ، ولعل الأمة الوحيدة التى يمكن أن تشبه
بالرومان في الفقه انما هى الأمة العربية . لم يبق اذا الا ادب
اليونان ، هو الذى يمكن ان يقال فيه انه متفوق على الأدب العربى
حقا ، ولكن من الذى يقيس رقى الأدب في أمة من الأمم برقى
الأدب في أمة اخرى ؟ فاذا كانت ظروف الحياة العربية مخالفة
اشد المخالفة لظروف الحياة اليونانية ، فطبيعى ان تختلف الآداب
عند الامتين . وليس من شك في ان الأدب العربى قد صور حياة
العرب تصويرا صادقا فأدى واجبه احسن الاداء ، وكل ما يؤخذ
به الأدب العربى القديم هو انه لا يصور حياتنا نحن الآن ، ولكن
اوافقك انت بان الأدب اليونانى القديم قادر على ان يصور الحياة
الحديثة تصويرا يرضى أهلها ؟ أما انا فلا اتردد في الجواب على
مثل هذا السؤال ، فالأدب اليونانى القديم خصب غنى تمتع من
غير شك ، ولكنه كالادب العربى قد صور حياة القدماء ، وهو
قادر على ان يلهم المحدثين لا اكثر ولا اقل

واراك تذكر الفن العربى فتعبه وتغض منه ، وقد تكون
موفقا في ذلك ، ولكن أليس من الظلم ان تحمل هذا الفن على
العرب ، وانما هو فن اسلامى ساهمت فيه الأمم الاسلامية
المختلفة واستمدت اكثره من البيزنطيين . فاذا كان لك ان
تعيب هذا الفن او تحمده ، فأحب ان تقتصدى اضافته الى العرب ،
والخير ان تضيفه الى الأمم الاسلامية . وامر العرب بالقياس الى
الفن والادب والدم والفلسفة بعد العصر العباسى الاول ، كما مر

اليونان بالقياس الى هذه الاشياء كلها بعد غارة الاسكندر على
الشرق . كانوا ملهمين باعئين للنشاط ، دافعين الى الانتاج ، مقدمين
لغتهم وعاء لما تنتجه العقول والملكات على اختلافها ، وقد يكون
من الحق ان كل مقامة من مقامات الحريرى اشبه بياب من ابواب
جامع المؤيد ، ولكن من الحق ايضا ان الآثار الادبية التى تشبه
مقامات الحريرى ، والآثار الفنية التى تشبه ابواب جامع المؤيد
كثيرة جدا عند اليونان في العصر المتأخر ، وعند البيزنطيين ،
ولعل هذه الآثار اليونانية البيزنطية هى التى احدثت عند المسلمين
مقامات الحريرى وابواب جامع المؤيد .

وانت تميز اليونان بالحركة ، وتميز العرب بالسرعة ، وتستنبط
من هذه السرعة ظلما كثيرا للعرب ، كما فعل ابن خلدون من قبل ،
وليس من شك في ان العرب يشاركون اليونان في الحركة ،
ولكن ليس من شك ايضا في انك تغلو غلوا شديدا في وصفهم
بالسرعة . انما أسرع العرب في الخروج من باديتهم ، ولكنهم حين
بلغوا الامصار استقروا فيها ، وطال بهم المقام ، فأثروا في أهلها
وتأثروا بهم ، وكانوا في القرون الوسطى اشبه الأمم باليونان
في العصر القديم .

ورأيت في الموسيقى العربية واليونانية في حاجة الى التصحيح
ايضا ، فنحن نعلم من الموسيقى اليونانية شيئا يسيرا غير مضبوط ،
ولا نعلم من الموسيقى العربية شيئا ، ولست ادرى الى اى أمة
او الى اى جيل نستطيع ان نرد هذه الموسيقى ، وهذا الغناء اللذين
نتحدث عنهما . ولكن الشيء الذى لا أشك فيه هو ان من العسير
جدا ان نردهما الى العرب القدماء . وكل شيء يدل على ان
الموسيقى العربية والغناء العربى كما كان يعرفهما العرب ايام
الامويين والعباسيين وفي الاندلس كانا متأثرين اشد التأثير
بالموسيقى البيزنطية والغناء البيزنطى . فاذا اردت ان تعييهما فلا
تنس ان تعيب اصلهما اليونانى القديم .

واريد الآن ان ادع هذه المناقشات التى تمس امورا جزئية
وان اخلص الى جوهر الموضوع الذى تريد ان تعرف رأيي فيه ،
وهو : الروح المصرى الذى ينبغى ان يقوم عليه الادب الحديث
ما هو ؟ وما العناصر التى تولفه ؟ وانا أستاذك في أن أكون
يسيرا سهلا ، لامتعمقا ولا متكلفا . ولا باحاثا عن الظهر في الساعة الرابعة
عشرة - كما يقول الفرنسيون - فالامر أيسر جدا من هذا كله ،
عناصر ثلاثة تكون منها الروح الادبى المصرى ، منذ استعربت
مصر ، اولها العنصر المصرى الخالص الذى ورثناه عن المصريين
القدماء على اتصال الازمان بهم ، وعلى تأثرهم بالمؤثرات المختلفة
التي خضعت لها حياتهم ، والذى نستمد دائما من ارض مصر

الا تقى انفسنا فيها . الثانى أن تؤثر ثقافة اوريسية على ثقافة اورية فتؤثر الثقافة الانجليزية - كما يريد قوم وكما تريد سياسة الدولة - او تؤثر الثقافة اللاتينية - كما يريد قوم آخرون ، وكما كانت تريد سياسة الدولة من قبل - هذا خطر لانه يجعل الروح المصرى الناشئ وجها لوجه أمام روح اوربى اقوى منه واشد باسا . فيوشك ان يخضع له ويفنى فيه ، فلو قد فتحنا أبوابنا للثقافات الاجنية على اختلافها ، لاتنفعنا كلها ولاضعف بعضها بعضا ، وحال بعضها دون بعض ان يفنينا او يسيطر علينا . لذلك تمتيت ومازلت أتمنى لو لم تفرض على مصر لغة بعينها من لغات الاوربيين ، بل جعلت اللغات الحية الراية كلها مباحة للطلاب ياخذون منها ما يشاءون .

هذا الروح المصرى الذى يتكون من هذه العناصر الثلاثة ، هو الذى نشهده الآن عندك وعند كثير من أمالك المثقفين ، وهو الذى نجد فى نشره واداعته بين المصريين جميعا ، وهو الذى سيطع أدبنا المصرى الحديث بطابعه القوى سواء اردنا أم لم نرد . فشخصيتنا المصرية العربية اقوى بحمد الله من أن تمحى او تزول ، والحضارة الاوربية اقوى والزم من أن نعرض عنها ، أو نقصر فى الأخذ بحظنا منها . ستسألنى : ولكن الأديب ؛ من أين يستمد خواطره ، ويستلم وحيه ؟ فاجيبك : من هذه العناصر كلها ، او من أى هذه العناصر شاء ، سيكون منا الأديب الذى يستلمه العنصر المصرى القديم ؛ ليس بين الفرنسيين من يستلمه اليونان ؟ وسيكون منا الأديب الذى يستلمه العنصر العربى ؛ ليس من الفرنسيين من يستلمه الرومان ؟ وسيكون منا من يستلمه العنصر الاوربى ، ليس من الفرنسيين من يستلمه السكسونيين ؟ بل من يستلمه الشرق الاقصى ، او الشرق الاوسط ، او الشرق القريب ، بل . والامر كذلك عند الانجليز وعند الالمان ، وعند غيرهم من الامم الحية . فانت ترى أن أمر هذا الروح المصرى ايسر من ان يدعو الى الخوف او يضطر الى الحيرة واكبر الظن أن مصدر هذه الحيرة وذلك الخوف انما هو اضطراب سياسة التعليم فى مصر وقيامها على غير أساس ، وسيرها فى غير طريق ، ولو قد وضحت هذه السياسة واستقامت منذ زمن بعيد لما تساءلنا الآن عن الروح المصرى ، ولا عن الادب المصرى من أين يستمد الحياة .

أما بعد ؛ فقد كنت أريد أن أقتصد وأؤثر الايجاز ، ولكن الحديث معك أغرائى بالاطالة وحببها الى ، وارجو أن لا اكون قد أثقلت عليك ولا على غيرك من القراء ، وارجو ان تقبل تحيى الخالصة ؟

وسمائها ، ومن نيل مصر وصحرائها . وهذا العنصر موجود دائما فى الادب المصرى الخالص ، قد حاولت تشخيصه بعض الشيء فى اول هذا الفصل ، فيه شيء من التصوف ، وفيه شيء من الحزن ، وفيه شيء من السباحة ، وفيه شيء من السخرية . والعنصر الآخر هو العنصر العربى الذى يأتينا من اللغة ومن الدين ومن الحضارة ، والذى مهما نفعل فلن نستطيع ان نخلص منه ، ولا ان نضعفه ولا أن نخفف تأثيره فى حياتنا ، لانه قد امتزج بهذه الحياة امتزاجاً مكوناً لها مقوماً لشخصيتها ، فكل افساد له افساد لهذه الحياة ، ومحو لهذه الشخصية ، ولا تقل انه عنصر اجنبى ، فليس اجنيا هذا العنصر الذى تمصر منذ قرون وقرون ، وتأثر بكل المؤثرات التى تتأثر بها الاشياء فى مصر من خصائص الاقليم المصرى ، فليست اللغة العربية فنا لغة اجنية ، وانما هى لغتنا وهى اقرب الينا الف مرة ومرة من لغة المصريين القدماء . وقل مثل ذلك فى الدين ، وقل مثله فى الادب .

اما العنصر الثالث ، فهو هذا العنصر الاجنبى الذى اثر فى الحياة المصرية دائما ، والذى سيؤثر فيها دائما ، والذى لاسيل مصر الى ان تخلص منه ، ولا خير لها فى ان تخلص منه ، لان طبيعتها الجغرافية تقتضيه ، وهو هذا الذى ياتىها من اتصالها بالامم المتحضرة فى الشرق والغرب . جاءها من اليونان والرومان واليهود والفينيقيين فى العصر القديم ، وجاءها من العرب والترك والفرنجية فى القرون الوسطى ، ويحيثها من اوربا وامريكا فى العصر الحديث . فخذ الآن اى اثر أدبى مصرى فحلله الى عناصره التى يتكون منها ، فتجد فيه هذه العناصر الثلاثة دائما . ولكنك ستجد بعضها اقوى من بعض بمقدار حظ المؤلف او المنشىء من هذه الثقافات الثلاث المختلفة . بعض هذه الآثار يغلب فيه العنصر العربى ، وبعضها يغلب فيه العنصر الاوربى ، وقليل جدا منها يظهر فيه العنصر المصرى القديم . فاذا لم يكن بد من أن أصور المثل الأعلى لروحنا المصرى فى أدبنا الحديث ، فاني أحب ان يقوم التعليم المصرى على شيء واضح من الملاممة بين هذه العناصر الثلاثة فتشدد عنايته جدا بالتاريخ المصرى ، والقرن المصرى ، والادب المصرى على اختلاف العصور ، وتشدد عنايته جدا بالادب العربى ، والتاريخ العربى ، والدين الاسلامى . ثم تشدد عنايته بالثقافة الحديثة واخوف ما اخافه على هذا الروح المصرى شيان : احدهما ان تلهينا الثقافة الاوربية عن الثقافة المصرية والعربية ، وكل شيء يغربنا بها ويغريها بنا ففى ضرورة من ضرورات الحياة ، فمن الحق علينا ألا نضيع حظنا منها ، ولكن من الحق علينا

أدب اللفظ وأدب المعنى

للاستاذ أحمد أمين

من قديم اختلف علماء البلاغة ، أهي في اللفظ أم في المعنى ، وقد عقد عبد القادر الجرجاني فصلاً ممتعاً في آخر كتابه دلائل الإعجاز ذكر فيه حجج الفريقين ، فقد كان فريق يرى أن المعاني مطروحة أمام الناس ، والبليغ من استطاع أن يصوغها صوغاً جميلاً ، وإنما يتفاضل الأدباء بجودة السبك وحسن الصياغة ، ويرى الفريق الآخر أن المعاني هي مقياس التفاضل ، وأن الأدب يفضل الأديب بغزارة معانيه ، وجدة أفكاره ، وأظن أن الزمان فصل في هذه القضية ، إذ أصبح واضحاً أن حسن الصياغة ، وجودة المعاني ، عنصران أساسيان لا بد منهما للأديب ، وأن من تجرد من أحدهما لا يسمى أديباً بحال ، وأن المثل الأعلى للأديب معان غزيرة سامية ، وصياغة جيدة محكمة

غير أن هناك — ولا شك — مواضع تراعى فيها المعاني أكثر مما يراعى اللفظ وصياغته ، كفصول النقد الأدبي ، والمقالات العلمية الأدبية ، والمقالات التاريخية الأدبية ، وتراجم الأشخاص ونحوها ، فالغاية من هذه الموضوعات ليست اللذة الفنية ، وإنما الغرض الأول هو المعاني والحقائق ، فيجب أن تكون غزيرة فياضة ، وكل ما تتطلبه فيها من اللفظ أن يعبر عن هذه المعاني في دقة ووضوح ، أما القصد إلى محسنات البديع وبجملات الصناعة فلا داعي له ، وربما كان إفراط الكاتب في هذه المحسنات حجلاً للمعاني عن الأنظار ، ومضلة للعقول عن الوصول إلى حقيقة المعاني ، وهي أقوم ما في هذه الموضوعات .

وهناك ضرب آخر من الأدب كالشعر والقصص فيه مراعاة اللفظ وحسن السبك في المنزلة الأولى ، ولست أعني أن الحقائق والمعاني فيهما مجردة من القيمة بل هي كذلك من مقدماتهما ، والشاعر الذي يجيد السبك ولا يجيد المعنى ليس من شعراء الطبقة الأولى ، وخير الشعراء من صحح حكمه ، واتسعت تجاربه في الحياة . وكان له علم عميق بكثير من الأشياء التي حوله ثم صاغ ذلك كله صياغة جميلة ، وهذا الأدب الصرف كالشعر والقصص والقطع الفنية الأدبية ، ليس الغرض الأول منه نقل المعاني كما في الصنف الأول ، وإنما الغرض منه إثارة عواطف القارئ والسامع

والألفاظ — كما يظهر لي — لم توضع لنقل العواطف ، وإنما وضعت لنقل المعاني والألفاظ أعجز ما تكون عن نقل عاطفة الأديب إلى القارئ . فكيف انقل إعجابي بالطبيعة أو أنقل حبايلاً جوانحي ، أو غضباً استفزني ، أو رحمة ملكت مشاعري ؟ لم توضع الألفاظ لشيء من ذلك ، وإنما وضعت لنقل مقدمات ونتائج منطقية ، ولكن ما حيلتنا وقد خلقنا عاجزين لم نمنح لغة العواطف ، ولا بد لنا من التعبير عنها ونقلها إلى قارئنا وسامعنا — لذلك استخدمنا لغة العقل مرغبين ، وأردنا أن تكمل هذا العجز بضروب من الفن ، كموسيقى الشعر من وزن وقافية ، وكالسجع ، وكل ضروب البديع ، وليس القصد منها إلا أن تكمل نقص الألفاظ في أداء العواطف . في هذا النوع من الأدب ليس من الضروري أن تكون معانيه جديدة ، وربما يستطيع الأديب أن يجعل من المعاني المطروقة قصيدة رائعة ، أو قصة متمعة ، وكل ما فيها من جديد صياغتها الجديدة ، وخيالها المبكر ، وليست وظيفة الأديب فيها أن يعلم الحقائق ، وإنما وظيفته أن يثير مشاعر الناس بها ، ويعبر عما لا يحسنون التعبير عنه ، وإن كانت المعاني في نفوسهم ، وبين سمعهم وبصرهم . كل إنسان يشعر بجمال الوردية ، ولكن الأديب يملأ مشاعرك بجمالها ، ويوحى إليك بمعان ترتبط بها ، مثل اقتران تفتحها بتفتح الشباب ، ونشوة الأمل ، أو ما تبث من شجن . وجودة الأسلوب وحسن التنظيم قد يرقان بالمعاني المألوفة فيخرجانها في شكل جذاب ولكن لا يمكن الأديب على كل حال أن يتبوأ مكاناً عالياً إذا اعتمد على الأسلوب وحده وكان مصاباً بالفقر العقلي .

في أدب كل أمة نرى أدب اللفظ وأدب المعنى ، وفي الأدب العربي أمثلة واضحة لذلك ، فقوامات الحريري والبديع أدب لفظي ، قل أن تعثر فيهما على معنى جديد ، أو خيال رائع ، وهما من الناحية القصصية في أدبي درجات الفن ، ولكنهما توديان غرضا جليلاً من الناحية اللفظية ، ففيهما ثروة من الألفاظ والتعبيرات لا تقدر ، ويظهر أن مؤلفيهما قصداً إلى تعليم اللغة وإمداد المتعلم بثروة كبيرة من الألفاظ والأمثال والتعبير ، وتحايلاً على ذلك بهذا الوضع الجذاب ، فإن كانا قد قصدا إلى ذلك فقد نجحا نجاحاً تاماً وإن كان قصدهما غير ذلك فلا . وشعراء القرون المظلمة بعد سقوط بغداد وكتابتها أدباء ألفاظ : رواء في العين ، ولا شيء في اليمين ، بل إن أدب كثير منهم لا هو أدب لفظ ولا هو أدب معنى ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، والمعري في لزومياته أديب معنى لا أديب لفظ ، غزرت معانيه وقصرت ألفاظه ، حاول أن

الخليفة، ويشيرون بذلك المشكلات والعداوات أو أن يقضوا بناء الدولة الذي كان لهم الفضل في بنائه فضلا عن أنهم من جنود الدولة الحريصين على الدفاع عنها وبسط سلطاتها.

وإذا كان لا بد من ضرب المثل للتدليل على صدق مذهبنا في هذين الأمرين فانا نذكر القراء بما كان من عبد الرحمن بن عوف وهو كما نعلم صاحب اليد في اختيار عثمان. فانه غير متهم اذا هو قام يذكر عثمان بما وجب عليه. ولقد بلغ به الأمر أن خاصم عثمان وحلف ألا يكلمه بكلمة حتى يفرق بينهما الموت، وقد بر بقسمه فقد قل إنه لما حضرته الوفاة دخل عليه عثمان عائدا فآدار وجهه الى الحائط ولم يكلمه. وذلك موقف كان يدعو الى ترك الخلاف لو لم يكن الأمر قد بلغ حدا لا يرتاح الضمير الى التساهل فيه وإذا شئنا أن نكرر الأمثلة التي تدل على انحراف زعماء الصحابة عن عثمان في آخر الأمر لم أضق بالأمر، فقد غضب طامة - حتى كان فيمن يحرض على عثمان تحريضا شديدا، وغضب عمار بن ياسر وبانغ الأمر بابي ذر الغفاري أن نفي من المدينة، وكان علي في أشد المواقف، ولكنه لم يكن راضيا وإن لم يظهر شيئا من غضبه باكثر من كلمات قالها لعثمان أو لبعض أمله. ولقد كان علي في أشد المواقف قائمه كان في حيرة بين واجبه نحو صديق آخي بينهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبين واجبه نحو العدل وهو بقية العهد الأول من عهد الاسلام، وهو البطل الذي ما كان يرضى بالحيد عن العدل مهما كان في سبيل ذلك من الاخطار. على أنه كان مع ذلك يحاول أن يحمل الخليفة على الاصلاح لكي يتحاشى الكبة التي لا تحت في الاتفاق.

وأما الأمر الثاني وهو حسن نية الثوار فليس ادل عليه من أنهم لم يرضوا بترك الأمر فوضى بعد قتل الخليفة، بل كانوا يعرضون الأمر على الزعماء. ويظهرون لهم وضوح حججهم في ثورتهم، ولم يفكر احدهم في أن يذهب الى مصره ليضرم فيه النار، أو أن يهرب الى بلده قبل أن يستقر الأمر ويتدارك ما كان من الخطب، فلم يكونوا بالمجرمين الذين متى تمت جريمتهم فزعوا هاربين من ضوء الشمس يحاولون أن يدخلوا في غمار الناس حتى لا تنالهم معرة فعلهم. فكانوا أشبه الناس بأصحاب يوليوس قيصر عند ما قتلوه وقاموا بين الناس معترفين بما أتوه، وبأنهم إنما فعلوا فعلتهم دفاعا عن الحق والحرية.

قتل الخليفة ولكنه لم يكن له كان غير مدبر تدبير محكما نتيجة تفكير طويل، بل جاء عند ما فزع الثوار اذ بلغهم ان الجيوش الموالية له تتحرك نحوهم لتبش بهم من انحاء الامصار. وقد ذهب الخليفة ضحية الظروف القاسية التي كانت تخيم على دولة العرب والتي كانت

وكانت رقتها كذلك محدودة، ولكن مدى الاشتراك فيها كان يشمل حدود الدولة العربية اذ ذاك. لسننا نقصد أن نقول ان العرب جميعا كانوا يريدون سذك دم الخليفة الشهيد، فقد كان هذا أبعد شيء عنهم، بل إن الفكرة ذاتها لم تكن في نفوسهم من اول الامر، ولكن الثورة كانت في نفوس الجميع. وكانت ثورة طبيعية لا هي وليدة تدبير ولا هي بنت حادثة، بل كانت نتيجة فكرة اختمرت في النفوس حتى صارت عقيدة، ثم كان من الامر ما كان عن عقيدة.

كان انتخاب سيدنا عثمان كما سبق القول نتيجة اختيار واسع الرقة. وكان كذلك قائما على تعهد وبرنامج. ثم جرت حوادث علي مر الايام لاحظها العرب واحصوها في نفوسهم، وإذا قلنا العرب فانما نقصد جميع العرب سواء في ذلك من كانوا في قلب الجزيرة والحجاز ومن كانوا في الامصار. وهل كان أهل الامصار يتركون الأمر يسير كما يشتهي فئة من قريش وهم جنود الدولة الذين يوفرون لها الفء والاموال، ويعودون عليها بالنصر والفتح. ولسننا في حاجة الى هذا التساؤل فحسبنا ان نتذكر أن اختيار عثمان كان قائما في ناحية منه على رضى جنود الامصار، فاذا لاحظ هؤلاء الجنود كيف يذهب فيهم في غير وجوه انقلبوا ينتقدون رئيس الدولة الذي يسمح بمثل هذا، واذا رأوا مشيختهم يميزون عن البلاد التي فتحوها لكي تسلم القيادة الى فئة لا غناء لهم ولا تحيط بهم ذكريات المجد والفتح احاطتها بالزعماء المعزولين نفرت نفوسهم وطفقوا يحصون على الوالى الجديد اعماله ويسيثون تأويلها أو يزيدون تأويلها قبجا. ومنذ بلغ الحال هذا المدي بدأ النقد يتخذ شكل الشكوى. وانطقت الالسنه بما دار في النفوس من التهم.

ولسننا نقصد أن نذكر الحوادث او نسرد ما كان من الخطوات التي ادت الى الثورة، فذلك معروف متداول، ولكننا نذكر امرين لا غني عنهما: الأمر الاول ان رؤساء العرب في المدينة اقتنعوا اقتناعا كبيرا بحق الشاكين ووجوب ازالة ما يشكون منه وبدأت نفوسهم تنحرف عن عثمان عندما رأوه لا يبدي الجيد في احقاق الحق وكان جديرا به أن يكون عند الحق مقيدا. والأمر الثاني ان الذين كانوا يأتون للشكوى لم يكونوا من أهل الفساد والعيث بل كانوا رجالا من الزعماء أتوا وقلوبهم موهرة تملؤها الشكوى، وما كانوا يقصدون سوى أن تزال مواطن تلك الشكوى بعد ان بثوها مرارا. وما كانوا مدفوعين الا بعامل واحد وهو الاصلاح. وكان أبعد شيء عنهم أن يفكروا في قتل

الخلافة يرفضونها، وهم يخشون ما وراء قبولها من العقبات والأخطار والمتاعب. فلم يكن الأمر أمر خلافة وسلطة وسيادة بل كان الأمر أمر شقاق، وكان على الخليفة أن يحاول القضاء عليه، وأمر دولة تريد أن تنهار ويجب الاحتفاظ بها وحفظها من الضياع، وأمر شهوات وأغراض يريد أصحابها أن يصلوا إليها متستريين والثائر، والواجب حماية المجتمع والدولة الإسلامية منها. وقد كان علي من بناء الدولة وأول أبطالها الذين تعرضوا للبوت مراراً في سبيل بنائها، فلما إن جاءه الثوار من ناحية ما يحيط بهامن الأخطار ثار قلبه ونسى كل ما يمكن أن يلقى في سبيل الدفاع عنها، وقبيل ما يعرضه الثوار، وكان عن الخلافة راغباً. وقال عند ذلك كلمته القصيرة الكبيرة الدلالة: قد أجبتكم لما أرى، وأعدوا أني أن أجبتكم ركبتمكم بما أعلم، ولأن تركتموني فأما أنا كما حذكم، إلا أني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم.

على أن هذه الثورة وإن كانت في مظهرها هدماً قد كانت في الحقيقة بناء له خطر عظيم في دستور الدولة العربية. فقد أظهر العرب بعف أن الخليفة إذا قبل شرط المبايعة كان لزماً عليه أن يفي بما تعهد به، وأنه إن لم يفعل كان للشعب أن يعزله. فإن أبي أن يعتزل أو يعتدل كان للشعب أن يثور عليه. وأذن كان على الخليفة الذي يلي أمر العرب بعد ذلك أن يحتاط ويحترس في السير على منهاجه الذي بايع عليه. وبذلك تم بناء الدستور العربي الأول على أسس واضحة صريحة، فقد كان اختيار الخليفة في ذلك الدستور من حق العرب جميعاً، ولكن السنة التي سار عليها خلفاء العرب الأوائل جعلت اختيار الخليفة محصوراً، فما كان الخليفة ليخار إلا من قريش. وكان الخليفة يختار ممن تتوافر فيهم شروط الرجولة السامة والعدل الذي لا يعرف ميلاً، وكان أساس الاختيار أن يعمل الخليفة بمقتضى برنامج صريح قائم على أحكام الكتاب والسنة والاستشارة بسنن الخلفاء الماضين. وكانت المبايعة من جانبين: جانب الشعب، وجانب الخليفة، فإذا خالف الخليفة شروط المبايعة كان للشعب أن ينقده ويطلب إليه الرجوع إلى المنهاج القويم وإلا كان له أن يثور عليه. ولم يقف نمو هذا الدستور بعد ذلك لنقص في القوة الحيوية في الشعب العربي. بل قد تكلف خلفاء بني أمية وبني مروان شيئاً كثيراً من العناء وارتكبوا جرائم كثيرة وخاضوا الحروب والمخاطر قبل أن يستطيعوا أن ينقضوا أسس ذلك الدستور.

(تصحيح) ذكر في المقال الأول الذي نشر في العدد الماضي اسم مسلمة بن عجله

سوها والصواب أبو طلحة الأنصاري

تحتاج إلى رجل له عقلية غير عقلية عثمان. عقلية محضة لا تردد فيها بين العواطف المختلفة، ولا تنازع فيها بين جانبي العدل والميل الطائفي، فإما أن تكون عقلية دنيوية محضة تسير على الميل الطائفي والاثرة ولكنها تسير قدماً بغير تردد، وإما أن تكون عقلية عادلة محضة تسير مع العدل قدماً بلا تردد، وإما عثمان فقد كان قلبه مملواً بفكرة العدل، ولكنه كان لين العاطفة يصل قرباته، ولا يستطيع إلا أن يكون مائلاً نحو من لهم به مساس من رحم. فتردد بين الدافعين المتضادين، وكانت الكارثة من وراء هذا التردد ولما تم الأمر عاد الثوار إلى أنفسهم وكانهم يريدون انقاذ الموقف فقصوا أسبوعاً يبررون فعلهم، ويعرضون الخلافة على الزعماء. وقد أرادوا ألا يعدوا عن السنن التي اختطها السلف ولا يحدوا عما سار عليه العرب في بناء دستورهم منذ كانت دولتهم، فأروا أن يرجعوا إلى آخر خطوة من خطى ذلك الدستور قبل الثورة، ألا وهي خطوة الشورى. ولم يكن الوقت ليسمح لهم بالسير بعد ذلك خطوة أخرى جديدة في سبيل تقدم ذلك الدستور وهي الخطوة التي كانت تنظر إلى بلوغ نظام كفيل بتمثيل العرب واختيار اليقيم للخلافة إذ أن ذلك كان يستلزم الهدوء والاستقرار. فلما لم يستطيعوا السير إلى الامام عادوا إلى حيث كانوا ورجعوا إلى المرشحين للخلافة بعد مقتل عمر. وكان بعضهم قد لحق بربه مثل عبد الرحمن ابن عرف وكان بعضهم بعيداً عن المدينة، وهو الزبير. فعرضوا الخلافة على طلحة فآبى وكره أن يتقدم في مثل هذا الظرف خوفاً من النعمة، إذ كان ممن ظهر منهم التحريض الصريح على عثمان، وإما سعد بن أبي وقاص فقد كان أخرج نفسه منها منذ حادثة الشورى وأبى أن يعاود نفسه في ذلك الأمر، فلم يبق من المرشحين للخلافة من أهل الشورى إلا علي. وقد عرض الثوار الخلافة عليه فلم يرض بأدى الأمر، وأبى كل الإباء. أن يقبلها.

وكان على عند مقتل عمر أول المرشحين للخلافة، ولولا أنه أبى أن يقيد نفسه بغير كتاب الله وسنة نبيه، ورفض أن يحرم نفسه الاجتهاد على هذين الأساسين فيما يقابله من مسائل الدولة لكان هو الخليفة بعد عمر. ولما رأى الثوار أن كل أهل الشورى لا يوافقونهم فيما يطلبون عادوا إلى علي وغربوا لهجة عرضهم وخاطبوه بما وجد في قلبه موقماً. وذلك أنهم بدأوا يظهر لهم حال الدولة الإسلامية، وقد مضى عليها أسبوع بغير خليفة، وحدودها ممدودة إلى أعداء كثيرين. وإذا استطال الأمر بها لم يؤمن عليها من الضياع والانقراض. وهل كان علي يترك دولة الإسلام في مثل هذا المأزق ويتردد في قبول حمله والاضطلاع به؟ لقد كانت المشكلات واضحة لكل ذي عينين، وكان كل من عرضت عليهم

خواطر في الشعر العربي

للأستاذ محمود البشبيشي

المدرس بدار العلوم

للمرسلة الغراء فضل على الأدب العربي أن أتاحت لقراءها فرصا كثيرة للاطلاع على آراء ناضجة، وبحوث طريفة في الأدب العربي ولقد أثار كتابها الفضلاء موضوعات طليّة في هذه الناحية لقيت من قادة الأدب والباحثين فيه عناية كبيرة، تردد صداها على صفحات (الرسالة) وفي أندية الأدب، وإذا كان من حق الرسالة على أدباء العربية أن يشكروا لها حسن مساعيها، فإن من واجهم أن ييوجوا بما يهتدون إليه من آراء حيال هذه الموضوعات، ليكون للأدب من كتاباتهم وبحوثهم مدد لا ينقطع.

أثار الباحث المفضل (الدكتور محمد عوض) مسألة الشعر الذي لا يجري على سنن واحد، وكان موقفاني تسميته (بجمع البحور) كما كان جد موفق في نقده وتجريحه حتى تركه هباء تذريره الرياح. ولقد كانت صيحة (الدكتور) موفقة، نهت رجال العربية إلى خطر دام ينتظر الشعر العربي من هذه الدعوي الباطلة التي لم تعد لها أنصارا، ولم تتمتع في قيامها على دليل، لقد طالما صدعت آذاننا بمثل هذه الدعوى، فمن داع إلى التحرر من القافية، إلى منادى بجمود الشعر العربي، إلى طارح لأوزان العروض الماثورة، إلى غير هذه النزعات الطائشة الغامضة، وأخيرا فوجئنا بفكرة التحلل من وحدة البحور، وقرض الشعر على غير نظام والسير فيه على غير هدى، ولقد كنا نشفق على الشعر ذلك التراث المجيد. أن تعبت به هذه المحاولات، ثم يعود الينا شيء من الطمأنينة، اعتمادا على ما فيه من مناعة تقيه هذه الالاعيب، غير أن دعاة هذه الفوضى الشعرية ما فتئوا يعاودون الكرة بعد الكرة يريدون أن يتسللوا في غفلة الرقباء إلى حى الشعر فيستبيحوه، فإذا تم لهم ذلك، لجروا في طغيانهم، وقضوا على أنصع صفحات الأدب العربي، وأزهي رياضه، وانضر وجوهه، ثم نعت غربانهم على أطلاله، وقطعوا ما بين حاضر الآمة وماضيها، وبنوا على اطلال ذلك الماضي المجيد، ما خيلته لهم أهواؤهم من أماني وأحلام،

لست أدري ماذا ينقم القوم من الشعر العربي؟ وهو الذي سائر الدهر قرونا طوالا، وماشى الحضارات على اختلافها، واتسع للأغراض الشعرية على كثرتها، واستقبل حكمة العرب واليونان بعزة الوائق بنفسه، المعتر بقوته، فما دعاه غرض إلا لبي، وما

أهاب به جديد إلا استجاب، وما سمعنا أنه قعد عن حكمة المتنبي وأن تمام، ولا تخاذل دون مباحج الحياة وأغراضها في بغداد والأندلس، ولا قصر يوم طلب إليه ترجمة (الياذة)، ولا يوم دُعي لنظم (قبيز) و (كيلوباترا)، بل ما رأينا نفر من حملوه ما لم يخلق لأجله فنظموا به العلم، وأطالوا به المتون، فالشعر العربي خصب بطبيعته، قابل للتجديد ومسايرة الزمن، ولكن في حدود العقل والمنطق، وفي حدود السليقة العربية، والحضارة العربية.

فماذا يريد القوم بعد ذلك؟ وأي غرض يرمون إليه؟ ماذا يريدون بجمع البحور؟ وهو نوع لاحظ له من النغم الموسيقي، الذي هو روح الشعر، وسر تقدمه على النثر، هو لون من القول يريد أن يخدع الناس عن نفسه فلا يلبثون أن يعرفوا حقيقة، ويدركوا أنه لا إلى الشعر ولا إلى النثر.

لقد أبان لهم (الدكتور) الفاضل ان هذا بدع من القول لم تعده اللغات الأخرى، ولم ينزل إليه شعراؤها النابهون، أمثال (شكسبير) وصاحب الشاهنامه، وعهدنا بأصحاب هذه الدعاوى، إذا أخذهم الدليل أن يتشبثوا بأهداب التجديد، ويجروا وراء الأدب الغربي، فإذا كانت حجتهم داحضة، وأسبابهم واهية، وإذا كان خول شعراء اللغات الأخرى لم يسفوا إلى (بجمع البحور) فإذا عساهم يقولون؟ ما أظن الباعث لا كثر هؤلاء إلا الظمروح إلى الشهرة وذبوع الصيت، يستعينون في سبيله بلغتهم، وهى مناط العظمة، وديوان المفاخر، ومظهر الكرامة والعزة القومية، هم يحسدون الشعراء على مكاتبتهم، ويحاولون ألا يقصروا في كل مظاهر العظمة، فيتعلقون بأهداب الشعر، فإذا هو نافر منهم، ويرون معاناة الشعر أمرا عسيرا على طبائعهم، شديد على نفوسهم، ويدركون أن العقبة الكؤود دون الذي يريدون، قوانين دعت إليها طبيعة الشعر كفن من فنون الموسيقى، واقواها في نظرهم وحدة الوزن والقصيدة أو ما يعبر عنه بالبحور، فلا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار حتى ينفروا الناس من هذه القوانين لعلمهم أن يحطموها، فتصير طريق الشعر في زعمهم واضحة معبدة، وعند ذلك يستوى الشاعر والمثاعر، ويندس في زمرة الشعراء الملهمين من لا يمت إلى الشعر بسبب، وقد نسوا ان الشعر كالموسيقى والصوت الحسن لا ينقاد إلا لمطبوع عليه

رويدكم أيها الاخوان! فما أنتم بياغي هذه الغاية! وان تراءت لكم قرية المزار، ان شعرا يفقد أهم عناصره وهى وحدة الموسيقى لجدير أن تجمه الآذان، وتنفّر منه الطباع، وما كان هذا شأنه

من أدب الجاحظ

للاستاذ توفيق الحكيم

استاذنا الكبير الدكتور طه

اني أشكر أهل الكهف الذين قادوني اليك . واذا كان هذا هو الغرض من بعثهم في كتابي فقد حق البعث نجاح . الحقيقة ان رعاية الدكتور طه أثمن ما منحني القديسون الثلاثة من كنوز . وان صداقته التي أطمح اليها يوم أكون خليقاً بها هي مفتاح على الأدبي في المستقبل . إنه ليشق علي أن يمضي الاسبوع ولا ألقى الدكتور . فلقد وجدت في حديثه الجميل زاداً روحياً لا غنى لي عنه .

تشرفت بلقاء الاستاذ الجليل لطفي بك ودار بيننا حديث طويل أرويه ان شاء الله عند اللقاء .

وبعد فقد كنت أقرأ الجاحظ منذ عامين فالتفت عنده كلاماً كالحوار التمثيلي لم أر مثله في الاغانى . وقد بدالى ان أنقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » دون تغيير في الالفاظ والمعاني . انما سمحت لنفسى ببعض الحذف وبعض الملامه بين وضع الحوار الاصلى والوضع المسرحى بغير أن أمس جوهر الموضوع . حتى يبق

فلن يرقى الى درجة الشعر الصحيح ولن يجد من الفوس الا احتقارا ، ثم لا يلبث ان يقبر في مهده

وانه لخير مما تريدون ان يسمع الانسان كلاماً منشوراً منسجماً لا تكلف فيه ، ولا تتعب أذنه في التوفيق بين انغام مختلفة متنافرة ، لاحظ لها من الشعر ، ولا روح لها من ألفه موسيقية ، وان يوماً يستحيل فيه الشعر الى ما ذهبتم اليه لهو يوم القضاء على الشعر العربى وجناية هذا على الأجيال المستقبلية أخطر مما تصورون .

ليس يحسدني ما تدعون اليه أن يتجلى على الناس في حلة الشعر وأن يحمل بين يديه قيثارته ، فلن تلبث الحلة الخادعة ، أن تبدو مهلهلة شتى الصور والالوان فتقضي بها الأعين ، ولن تلبث القيثارة أن تظهر أوتارها المتنافرة فتعجبها الآذان . ولا يلبث ذلك المسمى شعراً أن يبدو في حلته عظاماً نخرة ، لا تقوى على الهراء فتعود رفاناً سحيقاً ، فاعملوا للتجديد ان كنتم صادقين على دعائم ثابتة من القديم ، وإذا يمضى أدبكم العربى المجيد في طريقه قدماً ، ويتسع لما شئتم من جديد نافع ؟

الفضل للجاحظ وللادب العربى ، والحق انه حوار يذكر بالفريد دى موسيه في « لوميدياته وأمثاله » ان عناصر كل نوع من أنواع الادب والفكر موجودة عند العرب . لكنها مجرد عناصر . فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونفصلها ونبوها ؟ لماذا لا نضع مثلاً كل حوار من هذا الطراز في الشكل التمثيلى على قدر المستطاع . ونجمعه على أنه نماذج تمثيلية من الادب العربى . او على انه Rajeunissement للادب القديم بالبأسه حلة جديدة دون تغيير للب ؟ اذا صح هذا فال مجال العمل في الادب العربى القديم متسع . ولن تفرغ منه اجيال قادمة برمتها . والدكتور أول من بحث وحفر ونقب في آثار الادب العربى . وأول من أدخل روح البحث والتنقيب في الجامعة . والجامعات هي ميدان لمثل هذا العمل .

اذا كان الدكتور لا يوافقنى على أن عناصر القصص التمثيلى موجودة عند العرب . فما تراه يقول في هذا « المنظر » وهو من تأليف الجاحظ :

الفراق

المنظر : باب دار كبير . جارية كأنها قضيب يتثنى . وهي والهة حيرى واقفة في الدهليز . وجائية تخطر في مشيتها . يدنو منها شيخ ويسلم عليها فترد السلام بلسان منكسر وقلب حزين .

❖ ❖

الشيخ : يا سيدتى ! اني شيخ غريب أصابنى عطش فأمرى لي بشربة من ماء . تؤجرى .

الجارية : إليك عني يا شيخ ، فاني مشغولة عن سقى الماء وادخار الاجر !

الشيخ : يا سيدتى لاية علة ؟

الجارية : (بعد تردد) لاني عاشقة من لا ينصفنى ، وأريد من لا يريدني !

الشيخ : (يتأملها) يا سيدتى ، هل علي بسيط الارض من تريدته ولا يريدك

الجارية : انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب الله فيه من الجمال والدلال .

الشيخ : يا سيدتى ، فما وقوفك في الدهليز ؟

الجارية : هو طريقه ، وهذا ان اجتيازه .

الشيخ : يا سيدتى . هل اجتمعتما في خلوة في وقت من الاوقات

أم حب مستحدث ؟

الجارية: (تنفس الصعداء وتسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشئ تقول :)

وكنا كغصني بانه وسط روضة نشم جنا اللذات في عيشة رغد فافر هذا الغصن من ذلك قاطع فيامن رأى فردا يحن الى فرد ؟

الشيخ : ياهذه ما بلغ من عشقك هذا الفقى ؟

الجارية : أرى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيره ، وربما أراه بغتة فأنهت وتهرب الروح من جسدى ، وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل

الشيخ : عزيز على ؛ وانت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وإخلال الجسم وضعف القوى ، أأرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة . فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء ؟ أراك كنت سمفنة فى أرض البصرة !

الجارية : كنت والله يا شيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال . ولقد فنت جميع ملوك البصرة وفنتى هذا الغلام .

الشيخ : ياهذه ما الذى فرق بينكما ؟

الجارية : نواب الدهر وأوابد الحداث . ولحديثي وحديثه شأن من الشأن . وأنبئك أمرى : انى كنت اقتصدت فى بعض أيام اليروز ، فامرت فزين لى وله مجلس بأنواع الفرش وأوانى الذهب ، ونضدنا الرياحين والشقائق والمشور وأنواع البهار . وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فهن من الجوارى جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت بى ، وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن . فلما حصلت عندى رمت بنفسها على تقطعنى عضاق ووصا ... فيينا نحن كذلك اذ دخل علي حبيبي . فلما نظر الينا اشمأز لذلك ، وصدف عني وعنهما صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على أنامله وولى خارجا . فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته ، واستعطفه فلا ينظر الى بعين ، ولا يكتب الى بحرف ، ولا يكلم لى رسولا .

الشيخ : ياهذه ، أفن العرب هو أم من العجم ؟

الجارية : هو من جلة ملوك البصرة .

الشيخ : من أولاد نياها أو من أولاد تجارها ؟

الجارية : من عظيم ملوكها .

الشيخ : أشيخ هو أم شاب ؟

الجارية : (تنظر اليه شزرا) : انك لاصحق . أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد ، وطرة رقعاء كحك الغراب تعلوه شقرة فى يياض . عطر اللباس ضارب بالسيف ، طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد والشطرنج ، ضارب بالعود والطنبور ، يغنى وينقر على أعسل وزن لا يعيبه شيء الا انحرافه عنى لا قصا لى منه بل حقا لما رآنى عليه .

الشيخ : ياهذه وكيف صبرك عنه ؟

الجارية : (حالى معه كحال القائل) :

أما النهار فستهام واله وجفون عيني ساجفات تدع والليل قد أرمى النجوم ففكرا حتى الصباح ومقلاني لا تجمع كيف اصطبارى عن غزال شادن فى لحظ عييه سهام تصرع

الشيخ : ياسيدتي ، ما اسمه وأين يكون ؟

الجارية : تصع به ماذا ؟

الشيخ : أجهد فى لقائه وأنعرف الفضل بينكما فى الحال .

الجارية : على شريطة

الشيخ : وماهى ؟

الجارية : تلقانا اذا لقيته وتحمل لى اليه رقعة .

الشيخ : لا أكره ذلك

الجارية : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة . يسكن باني شجاع ، وقصره فى المربد الاعلى . وهو أشهر من أن يخفى . (تصيح فى الدار :) يا جوارى دواة وقرطاسا ..

الشيخ : ياسيدتي وجب حقك على . ولزمتك حرمتى لطول

وقوفي عليك ، وكنت قد سالت شربة ماء ...

الجارية : استغفر الله ! ما فهمنا عنك . (تصيح فى الدار) :

أخرج الينا شرابا من ماء وغير ماء

(تقبل وصيقتان تحملان الدواة والقرطاس

فتشمر الجارية عن ساعدين كأنهما طومارا فضة

ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة . ثم تقبل ثلاثون

وصيفة بايديهن الكؤوس والجامات والاقادح مملوءة

ماء . وتلجا وقعاء وشرابا فيشرب الشيخ ..)

ما يتلقى الفتى في المدارس الابتدائية والثانوية ، كما أصبحت تدرس معه جنباً الى جنب في الجامعات .

وبالرغم من ان مصر لم تبتدع ذلك النظام ، وانما نسجت فيه على منوال الامم الرقية التي تأخذ عنها جل نظم الحضارة والعمران ، فان ذلك الانتقال لم يقبله الكثيرون قولا حسناً بعد ، لأنهم يرون فيه ضياعاً لوقت الفتاة التي خلقت لأن تكون أما ، زاعمين ان سيكولوجية المرأة او تركيبها النفسى ، ووظيفتها في الحياة تستدعيان اعداداً خاصاً وتعليماً غير تعليم الرجل .

ويظهر ان انصار هذا المبدأ لهم تفسير خاص ، لا غرض التعليم ومعنى الثقافة ! أما ما يفهم عادة من الثقافة فهو كل ما من شأنه تهذيب النفس وصقل العقل وتقويم العاطفة وتوسيع المدارك . وعلى ذلك يدخل تحت الثقافة العلوم بأنواعها والفنون والآداب والاخلاق ، وكل ما يكتسب المرء من تجارب وتعليم عملي في الحياة . ولما كان هذا النوع من الغذاء العقلي والروحي لا يستغنى عنه الانسان الذى يصبو الى الكمال ، وكانت المرأة انساناً لا تختلف عن الرجل من هذه الناحية ، فلا بد لها من غذاء عقلي ومعنوي ايضاً ، ولما كان التكافؤ العقلي بين الجنسين اصبح من الامور المسلم بها ، وجب اذن ان يتغذى عقل المرأة كما يتغذى عقل الرجل حتى تصل الى حظ مثل حظه من الثقافة . نعم لا مفر الآن من تثقيف المرأة بالطريقة التي تتسع في تثقيف الرجل ، اذ أصبح من الجلى الآن ان الطريقة القديمة لتعليم الفتاة لم تنتج غير مخلوق ناقص من نواح كثيرة ، بدليل هجران الرجل لمنزله في كثير من الاوقات ، لأن شريكه حياته تعجز عن أن تمدد بالصبح والمعونة ، كما تعجز عن جعل دارها مهبأً للجمال والتسلية . أقول هذا القول وأشعر اننى لو قلته في بلد آخر متمدين غير مصر ، لنظر الناس الى بمنتهى الدهشة ، نظرهم الى من يخبرهم مثلاً ان النهار في الصيف اطول منه في الشتاء ، ظاناً انه يذكر لهم امرأ طريفاً ... ولكن مصر التي سارت بخطى واسعة جداً في نواح كثيرة من نواحي التقدم والرقى ما زالت تتردد في قبول بعض المبادئ التي تعد أساس الرقى الصحيح وعنوان الحضارة ، أعنى مساواة المرأة بالرجل في الحقوق وخصوصاً الثقافة .

وليس الغرض الرئيسى من تعليم الفتاة كما يظن الكثيرون تأهيلها لمزاولة مهنة من المهن كالحمامة أو الطب أو الهندسة ، وانما الأهم أن تصل الى حقها الطبيعي من اعتيادها التفكير المنظم

ثقافة المرأة

للآنسة اسماء فهمى

درجة شرف في الاداب

انجه خاطرى نحو هذا الموضوع بعد قراءة تليق « الرسالة » على خطاب الآنسة حياة التي تشكر من أن صاحب « الرسالة » قد حرم المرأة أن يكرن لثقافتها مظهر في مجله بجانب ثقافة الرجل ، ورد صاحب الرسالة بأنه لم يرد أن يسمح للرجال بالتحدث عن شؤون النساء الخاصة . ولست افهم تماماً المقصود بشؤون النساء . أهى امور الدار وتربية الاطفال ، أم المراد مساهمة المراد في ميدان التحرير وطبع الادب . بطايعها الايق الخاص ، بصرف النظر عن الموضوعات النسوية البحتة ؟

وسواء أكان المقصود الأمر الاول ام الثانى ام الاثنين معاً فان موضوع ثقافة المرأة العامة ، هو ما ينبغي ان يبدأ ببحثه حتى ندين ما اذا كانت ثقافة المرأة تنحصر في دائرة خاصة ، وهل يحسن ان يكون لها تعليم وتهذيب يختلفان عن تعليم الرجل وتهذيبه .

وقد لا يكون من غير الملائم لفت الانظار الى هذا الموضوع في الوقت الذى تطور فيه تعليم الفتاة في العشر سنين الاخيرة تطوراً عظيماً ، فبعد ان كان تعليمها قاصراً على بعض الفنون المنزلية ومبادئ القراءة والكتابة وقشور اللغات الأجنبية ، أصبحت تتاقى من العلوم

الشيخ : ياسيدتي . مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري ، فلم لا تأمرين إحدى الجواري ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه . ٤ .

الجارية : لا تغاظ يا شيخ . ١ .

الشيخ : (يفهم مرادها ويترك خجلاً من دهوته) انتهى المنظر . وكان في مقدورى ان اجعل منه فصلاً كبيراً . لكننى آثرت أن أبقيه على أصله . لأن المسألة عندى هل تظهر العناصر مع بقائها على شكلها . أو تنصرف بها ونستعملها كما نشاء ؟ سنتكلم في هذا اذا القينا في الاسبوع القادم

والدقة في التفاصيل، من تدريبها الطويل على استعمال الابرة والمنسج. والواقع أن مثل هذا التعليم يكسب المرأة المقدرة على مراعاة النسب ودقة الاسلوب ودقة الحساسية، وكل ذلك يبدو واضحا الا أن ما يعترض عليه بشدة هو تضييع التعليم العام من اجل هذا التعليم المنزلي، بحجة عدم استخدامه عمليا في وظيفتها الخاصة. انه لمنتهى الظلم الا ننظر إلى المرأة كأنسان له حق كامل في الحرية والتعليم قبل أن ننظر إليها كأم أو دمية منزل، بل ان منتهى الاستهانة بمواهب المرأة ان نكتفي منها بالقشور دون اللباب، فلا نحاسبها على عدم تعمقها في التلميم وإنما ننظر إليها نظرة كمنظرة اهل العصور الوسطى، الذين كانوا لا يعلمون من المرأة اكثر من اتصافها بالعفة والصيانة. أما الصفات الأخرى كالذكاء وبعد النظر والشجاعة والصراحة فلم يكن عليها اقبال يذكر؛ وإنما الاستكامة والخشوع كانا من أهم مميزات الكمال النسوي في تلك العصور. ولقد كانت «جرزilda الصبور» التي تحملت مرارة هجر الزوج وقسوته مثل الفضيلة والأومة الصالحة عندهم... واخشى أن تكون (جرزilda) هذه لا تزال المثل الأعلى للزوجة عند الكثير من الرجال...

إن التطورات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية التي تبعد الشقة كل يوم بين العصور الوسطى والعصر الحديث، تفرض علينا تغيير الآراء القديمة بالنسبة إلى مركز المرأة وثقافتها. ففي حياتنا الحديثة المتشعبة المسالك الكثيرة المطالب، المملوءة بالصراع والتنافس لم يبق مكان للمرأة الساذجة الضعيفة. وعلى ذلك كان من الخطأ الكبير أن تعتمد انقاص تثقيف المرأة عن تثقيف الرجل، بل يجب أن يتناسب مقدار الثقافة مع وظيفة تلك التي تبرز العالم بيسارها اذا ما هزت المهدي يمينها...

ولكن ماذا تكون النتيجة لو تعلمت المرأة كما يتلم الرجل؟ هل تفقد مميزاتها الخاصة ولا يصبح هناك فرق بين ثقافتها وثقافته؟ الواقع أن الثقافتين لا تختلفان الا شكلا فقط، فيكون للثقافة المرأة وان اتحدت في الجوهر مع ثقافة الرجل طابعها الخاص، إذ تتجلى فيها ما تمتاز به المرأة من حنان ورقة وتأثر بالعواطف والهام وحدة ذكاء وشدة حساسية.

وإننا لنأمل أن نرى أثراً واضحاً لتلك الثقافة النسوية «في الرسالة» التي تعتبر بحق رسالة الروح الحديثة المملوءة قوة وابتكاراً وتجديداً

اسماء فرهمي

ولمكسائها خلق الاعتماد على النفس والاعتداد بالكرامة، وذلك لا ينشأ إلا عند تبين مبالغ المقدرة الشخصية والاستعداد. ولا ضير إذا هي لم تستخدم تلك المعلومات بالذات في حياتها المنزلية إذ الغرض الاساسي من التعليم كما يقول افلاطون في «الجمهورية»؛ توجيه الروح إلى النور باعتماد التفكير المنتج وبالاتتماد زماناً ما عن قيود الماديات. والواقع اننا نحط من شأن التعليم كثيراً إذا نظرنا إليه قبل كل شيء كوسيلة لتحقيق غرض مادي فالتعليم يجب أن يعتبر غرضاً في ذاته قبل أن ينظر إليه بذلك النظرة المادية سواء في حالة تعليم المرأة أو تعليم الرجل. سأل مرة استاذ في إحدى الجامعات الكبرى لميذه لماذا يتلم تعليمها جامعياً ولم يختار التاريخ لفرع تخصصه. فكان جواب الطالب الصريح بما أهاج الاستاذ الذي لم ير مغضبا من قبل. وذلك انه أجاب انما يتلم ليحصل على درجة عالية تمكنه من الحصول على وظيفة تضمن له رغد العيش... ثار الاستاذ وغضب لانه شعر أن تلميذه لا يتلم لوجه العلم، وعلى ذلك فهو يفقد أهم شروط التهديب الصحيح. فبغير هذا الشرط لا يمكن أن يمتزج العلم بالفلس أو بعبارة أخرى لا يمكن أن تحدث الثقافة.

وعلى ذلك تكون المرأة امة ثقافة وأعمق تهديبا لو تعلمت تعليم الرجل لانها في الغالب تتعلم للدلم فيكون لانتاجها مظهر جذاب لانه بعيد عن المؤثرات المادية التي كثيراً ما تعترض تقدم الرجل. إلا أن ثقافة المرأة لا تكمل ولا يصح لها أثر محسوس إذا علمناها علوم الرجل بينما تحرم مما يستمتع به من حرية وإرادة مستقلة، وتحاط بسياج من التقاليد العتيقة والرقابة الخائفة، فهي في هذه الحال تقول بمرارة: من لي بعيش الأغنياء... كما أنه لا يمكن أن يصدر عنها ثقافة عالية، إذ ينقصها بسبب قيودها الشخصية والابتكار والصراحة والنظرة العملية.. وهكذا تبدو ثقافتها مبتورة وان تناهت في الظرف وتآلق فيها الذكاء الباهر.

وهنا قد يسأل سائل: وما مبلغ أثر التعليم المنزلي في ثقافة المرأة؟ اني وإن كنت أريد تعليم المرأة تعليماً عالياً ابتغاء وجه العلم، أو استعداداً للعمل فلست بمن يتكرونها ما للتعليم المنزلي من أهمية في ثقافة المرأة. وهو لا ينفعها عملياً فحسب، وإنما لهذا التعليم أثر جميل في انتاجها العقلي او مظهر ثقافتها. وقد كان يقال عن (جين اوستن) الكاتبة الانجليزية التي اشتهرت ببراعة الأسلوب وسمو الخيال ودقة التحليل انها انما اكتسبت الطلاوة في التعبير،

الى الله .. !!

للآنسة ناهد محمد فهمي

الادب والحياة

للاستاذ زكى نجيب محمود

تطفئ على العالم موجة مادية تحتاحه أصولا وفروعا ، وترده على ان يحمل تراث الانسانية الادبي ، منذ فجرها حتى اليوم الزمان ، فيأخذ سمته نحو اليم ، فياتي بذلك التراث في لجنة ماله من قرار ، ثم يعود وقد ازاح عن كاهله ذلك العبء المضني من دموع الشعراء وأنيهم وهزات نشوتهم وسرورهم ، وغير ذلك من نزوات الطفولة التي لاندعو اليها ضرورة ولا شبه ضرورة في هذا العصر الحديث ، أن يتوفر علي أزيز المعامل ومقارع الآلات ، التي لا ينبغي أن يطرب لسواها ، أو ينصت لصوت غير صوتها !! وماذا يغني داني وشكسبير بجانب علوم الطبيعة والكيمياء ، التي على أساسها تعمل المطارق وتدور الارحاء !! وفي ذلك يقول الكاتب الانجليزي توماس بيكوك : الشاعر في عصرنا هذا نصف همجي يعيش في عصر المدنية ، لانه يقيم في الزمن الخالي ، ويرجع بخراطره وأفكاره وخوالجه وسوانحه الى الاطوار الهمجية ، والعادات المهجورة ، والاساطير الاولى ، ويسير بذهنه كالسرطان زحفا الى الوراء لقد كان الشعر نقرة تنبه الذهن في طفولة الهيئة الاجتماعية ، ولكن من المضحك في عصر التضييق العقلي أن نغني بالاعيب طفواتنا ، ونفسح لها موقعا من شواغلنا ، فان هذا سخيف يشبه سخيف الرجل الذي يشتغل بالاعيب الصياد ، ويكسب لينام على رنة الاجراس الفضية ، هكذا يقال عن الادب الآن ، كأنه عرض من اعراض الحياة ، لا يمسه في الجوهر والصميم ، والواقع أننا حين ننزل عن الادب وسائر الفنون ، فاننا انما ننزل عن نفوسنا ، لان هذه وتلك شيء واحد اختلفت اوضاعه

وللشاعر الفيلسوف طاغور تحليل يبين به موضع الفن من اساس الحياة ، وأنه ضرورة لازمة لامناص منها ، ونحن نورد للقارئ خلاصة موجزة لذلك البحث الجليل :

عرفتك في كل مظهر من مظاهر أكوالك
وناجيتك في كل سورة من سور قرآنك
ولكنني بعد هذه المعرفة الطويلة ، والمناجاة المتصلة اسمع في
في جوانب نفسي سائلا يسأل : هل عرفتك حقيقة يارب ؟

رباه طالما حادثتك في ليل السرية ..
وطالما ناجيك حزينة ومسرورة ..
وكنت عقب صلواتي اسمع صوتك القدوس يدوي ، صداه في
أركان روحي المادية ..
عرفك بالغربة وأنا طفلة ..
فكنت أنا أدب كلما ذكروا اسمك العظيم ..
لأنني اعتقد دائما أنني في حضرتك ..
وكنت اضرب بحبة واحتراما وعبودية ، كلما فكرت أنك
تراني دائما ..
حادثتك وأنا في الكتاب ، أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
فأمنت بك لرحمتك وحنالك ..
لان الرحمة والحنان اول ما يفتقر اليهما الناس في هذه الحياة
القاسية ..

عرفتك في الليالي الممطرة ..
فكنت أقف ساعات منصتة للرعء ،
فهو جاذبة همساتك ..
وكنت ارقب البرق .. فهو نور ابتسامتك ..
غفرانك يارب !!
اذا تخيلتك هكذا ، بمنحاني ، الانسانية الضعيفة ..
عرفتك في الربيع ... حين مرت يدك القادرتان علي وجه
الارض ... فتجلى صنعك البديع في النبات والورود ، وعرفت
رحمتك في تلك النفحات الربيعية العطرة وصوتك في أهاليح
الطبيعة البهيجة .. فاقننت برحمتك وآمنت بحجبتك ..
عرفتك في الصيف ، فاعتقدت بجبروتك وآمنت ببارك ،
وفي الخريف فآمنت بالموت والفناء والمرض ، وعلمت أنك الباقي
ونحن القانون ..

عرفتك في النهار عند مالمات أنوارك عيني وبهرت آياتك لبي ..
وعرفت في الليل حينما باحت لي النجوم الزواهر بسر عظمتك ،
وبعث الظلام الحالك في نفسي معنى رهبتك ..

على الحيوان الاعجم — كما يشاركه في مشاعره النفسية كذلك، إلا أن أهم ما يرتفع بالإنسان عن مرتبة الحيوان، أن هذا محدود في دائرة ضيقة جدا، لا تنسع لأكثر من الضرورات التي يقتضيها استمرار الحياة، فهو يبذل ما يبذله من مجهود لحفظ كيانه، والاحتفاظ بنفسه، ثم لا يزيد على ذلك إلا بمقدار ضئيل، أما الإنسان فلا تكلفه الضرورة إلا بقدر محدود ثم يبقى لديه من القوة ما يحول به حرا من الأصفاد والقيود، مثل الحيوان في ذلك، مثل الزارع الذي ينوء بأعباء الدين المأدحة فهو يكد ويكدح ويعمل ويشقى طول الدم، فإذا ما حار الحصاد تسرب الثمر إلى الدائن، ويخرج صاحبنا من الممركة صفر اليدين، أما الإنسان فهو في هذا التشبيه صاحب ضيعة واسعة الطاق، لا يفقد من دخله لا جزاء يسيرا، ثم نعم بعد ذلك حرا لا يتف دون سلطان ولا رقيب، أي أن لديه من ثروة الحياة ما يزيد على الحاجة الضرورية بقدر عظيم، وبذلك يتاح له، من القوة والفراغ، ما يستطيع معه أن يماجد مختلف الشئون، لا باعتبارها واجبا حتما تمليه ضرورة الوجود، ولكن على أنها أغراض في نفسها تقصد لذاتها

ف للحيوان مقدار من المعرفة ولا ريب، إلا أنها معرفة ضئيلة محدودة، يستخدمها في حفظ الحياة وكفي، فهو ملزم أن يدرس بيئته في شيء كثير من الدقة ليستطيع أن يتخذ لنفسه من أركانها مستقرا يؤويه، وليتمكن من الحصول على طعامه وشراؤه بسهولة ويسر، وهو ملزم كذلك أن يعلم بعض خواص الأشياء من حيث اللدونة والصلابة مثلا، لينبئ ما يشاء من أوكار، ويعالج شئون الحياة الأخرى، وهو لابد أن يعرف للفصول المختلفة علامات تدل على قدومها. حتى يتنبأ لأجوائها المتباعدة بالريش أو الفراء، هذه واشباهها معرفة لاندحة عنها لكل أنواع الحيوان للذود عن كيانه والاحتفاظ بوجودها. ولكنها لا تزيد على ذلك إلا قليلا. والإنسان أيضا. لديه تلك المعرفة اللازمة لاستمرار الحياة — حياة الفرد والجنس — ولكن معرفته لا تقف عند هذا القدر القليل، بل تفيض معرفته فيضا غزيرا يطغى على تلك الحدود الضرورية، فهو يحصل جانبا عظيما من المعرفة لذاتها، وينشد العلم لأجل العلم، لا ينبغي وراء ذلك قصدا ولا غاية. ومن هذا الفيض العلمي تنشأ الفلسفة والعلوم.

وللحيوان جانب خلقي غير منكور، فلديه كثير من الايثار تراه واضحا في حنان الأم على صغارها أيا كان نوعها ويبدو

من الحقائق البديهية، أن الإنسان مرتبط بهذا العالم بصلات شتى، فهو يعيش في مضطرب الحياة مدفوعا بطائفة من الحاجات التي يتحتم عليه تضاؤها وهو في تلك المحاولة مضطر إلى أن يتصل بالعالم اتصالا ليس له عنه منصرف ولا محيد

فالحاجة الجسمية تمل عليه أن يفلح الأرض ويتعهد الزرع حتى يثمر له القوت، وأن يلتمس من الطبيعة مسكنا وملبسا يدفعان عنه القر والهجير والحاجة العقلية تريده على أن يعمق النظر ويستقصى البحث في مظاهر الكون، لأن العقل لا يقنع بالظلال الأشياء الخارجية دون أن يتتبع العلل ويكتشف القوانين العامة التي تنظم جميع الجزئيات، فهو مطبوع دلي هذا البحث، ليخفف عن نفسه أعباء الحقائق الكثيرة التي تصادفه في حياته، باختزالها في عدد قليل من القوانين، أو في قانون واحد شامل أن استطاع إلى ذلك سبيلا

وليست حاجة الإنسان تقتصر على العقل والجسد، بل هو يحمل بين جنبيه نفسا لها مطمح تنشده وتسمى إليه، فهي بدورها مضطرة إلى أن تتصل بالكون كي تلتبس عند مظهره ما تصبو إليه، وهي بحكم وجودها تعالج ضروبا من المشاعر، فهي تموج بالأمل واليأس والسرور والغضب وغير ذلك من ألوان الشعور.

ولكن هذه الروابط التي تصل الإنسان بالعالم لا تقتصر عليه دون سائر الحيوان، فهو يشاركه في الحاجة الجسمية ويشاركه في الحاجة العقلية — إن صح إطلاق هذه الكلمة

الْوَرَةُ الْعَرَبِيَّةُ

خَلَّصَتْهُ مَارِجِنًا وَمَكَانَهَا مِنَ الْهَضْمَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْبَصْرِيَّةِ
يَقْلِبُ كِتَابَ كُنْزِ أَبِي الْوَلَدِ السَّعْدِيِّ
كِتَابَ حَبَابٍ أَنْ يَقْرَأَهُ كُلُّ مَصْرِيٍّ
لِيَتَأَمَّلَ صُورَةَ كَاتِبِهِ الْكَبِيرِ بِحَادِثَاتِ تَارِيخِهَا الْبَصْرِيَّةِ الْحَدِيثِ
الَّتِي هِيَ بَطْلَانُ كِتَابٍ كَبِيرٍ بِالْفَاهُةِ
وَمِنَ الْمَكْتَبَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِرَأْسِ التَّيْنِ بِالْأَسْكَنْدَرِيَّةِ
وَمِنَ مَكْتَبَةِ عَلِيِّ مُحَمَّدٍ بِالسَّكَّةِ الْجَدِيدَةِ بِطَرِيقِهَا

في العدد القادم

سننشر في العدد القادم بحثاً قيمياً في الاقيانوغرافيا أو تقويم المحيطات للدكتور حسين فوزي مدير إدارة أبحاث المصائد فتلقت إليه الانظار.

ذلك الايثار بارزا في هذه النحلة العاملة، وتلك النحلة المثابرة،
فهما تسميان وتطوفان هنا وهناك، تجمعان القوت، ولكن لماذا؟
لحلية النحل كلها أو لجماعة النحل بأسرها. وهذا المقدار الضئيل من
الاخلاق، انما اوجده ضرورة الحياة عند الحيوان، أما الانسان
فقد رسم لنفسه من التشريع الخلقي ما يربي على حاجته الضرورية
أضعا فاضاعة، فهو يفرض على نفسه الخير لانه صالح للجماعة
أولا، ولكنه لا يكتفي بهذا الفرض المتواضع، بل يمعن في
ذلك امعانا بعيدا، فينشئ الخير محضا ويطلبه لذاته فقط ومن
هذا الفيض الخلقي، نشأ علم الاخلاق

وللحيوان شعور يحسه ويعبر عنه، فهو يبغض ويحب، وهو
يسر ويحزن، وهو يأمن ويخاف. ولكنه كذلك لا يعدو في
التعبير عن مشاعره ذلك الحد الذي تقتضيه ضرورة الحياة. أما
الانسان، فمواطنه - وان تكاد نشأت في الاصل تلك الاغراض
التي نشأت من أجلها عواطف الحيوان - الا انها قد جازت ذلك
الحد تجاوزا فسيحا، وتركت في الأرض جذورها الأولى التي أخرجتها
إلى الوجود، وانبعثت عالية منتشرة بفصوصها في سماء الالهية،
نعم لدى، الانسان من العواطف أضما فاضما ما تتطلبه طبيعة
وجوده، وهذا الفيض الغزير العميق من المشاعر التي تضطرم وتحدث
في الصدور، لا بد ان يجد ممتصا يتسلل منه، ليعلن عن نفسه في أنحاء
الوجود، وقد كانت الثغرة التي تدفق منها ذلك الفيض الشعوري هو الفن
الجميل في ظروفه المختلفة من أدب وتصوير ونحت وموسيقى
وغيرها. إذ اتخذها الانسان أداة للتعبير عما يحسه من شعور،
وهذا الشعور الذي يلتمس طريقه إلى عالم التعبير في صورة فنية،
انما يكشف عن نفوسنا وما يدور فيها من احساس. وبعبارة
أخرى، أن الفنون وسيلة لابرار مشاعر النفس الانسانية، دون
الاشياء المحسة التي تتعلق بها تلك المشاعر، وبذلك أتاحت للانسان
أن يسكب نفسه أمامه، فيراها ويلبسها، وليس له عن ذلك بد
بحكم تكوينه، فهو حين ينظم القصيدة من الشعر، أو يضرب على
أوتار الموسيقى، فان ذلك يوازي في قائمة الضرورات الانسانية
الملبس والطعام، ومن هنا كان الانسان هو الحيوان الوحيد الذي
يعرف نفسه ويشعر بوجوده

ولما كانت الآداب والفنون هي شخصيتنا تدفقت إلى العالم
الخارجي في مختلف الأنواع، كان لا يصلح موضوعا للفن إلا ما
يتصل بنفوسنا وينظم في سلك مشاعرنا. أو تغذوه عواطفنا، فيكتسب
الرضى أو السخط أو السرور أو الألم أو غيرها، وعندئذ يصبح

جزءا منا، يصح له أن يبرز في صورة فنية. فعلينا أن الأرض
تبعد عن الشمس كذا ميلا لا يصلح موضوعا للفن لانه لا يمس
نفوسنا، أما منظر غروب الشمس فهوثير فينا عاطفة ما - الإعجاب
مثلا - فيمتزج المنظر بنا، ويحتاج في نفوسنا، ثم لا يلبث أن
يسلك سبيله إلى التعبير. وهكذا كلما اجتمعت مشاعرنا حول شيء
معين فانها تجاهد في الافصاح عن نفسها مستعينة في ذلك بالفنون،
ولما كانت معظم الاشياء التي تصادفنا في الحياة تثير فينا لونا
خاصا من العواطف، فالانسان فنان في الكثير الغالب من نواحي
الحياة. فهو يشيد دورا فخمة لمسكنه، وكان يكفيه كوخ خشن
ضئيل، وهو يبتني المعابد والمساجد الشائعة، التي ترسل قباهها ومآذنها
في الفضاء. لينفس عن عاطفته الدينية، وكان يكفيه حيز محدود
في العراء لأداء فريضته، وهو يخطط المدن وينسق الحدائق،
ليرضى عاطفته الوطنية، وهو يعنى بأثاث منزله وجمال ملبسه إلى
آخر دقائق الحياة، لماذا؟ لأنها تمس مشاعره فتصبح قطعة من
شخصيته لا يسهل إلا ابرازها والاعلان عنها.

من ذلك نرى أن الفنون جميعا هي الأداة التي يستخدمها
الانسان ليتمكن من صب الوجود في نفسه. ثم يعود فيسكبها
شخصية تنبض فيها الحياة، وقد اتخذت الفنون قوالب الجمال وسيلة
إلى ذلك التعبير، كالنصير والموسيقى والعبارة الجميلة، فأدى ذلك
إلى اقتران الآيات الفنية بمعاني الجمال، فالتبس الأمر على بعض
المفكرين، وذهب بهم الظن إلى أن الجمال هو الغرض المقصود من
الفنون، والحقيقة انه أداة فقط، استعملت للوصول إلى الغاية
الحقيقية، وهي ابرار الشخصية الانسانية، وقد تبع ذلك جدل
ونقاش حول موضوع لم يكن ليحتمل النقاش والجدل، وهو
أيهما أفضل في الأدب: المعنى أم المبنى؟ فذهب فريق كبير إلى
تفضيل العبارة الجميلة، وحجته في ذلك، أن المعنى أدخل في باب
العلوم منه في باب الأدب، أما اللفظ الجميل، فهو فن خالص
لانه قطعة من الجمال، والجمال أساس الفنون، وفات هؤلاء
أن جمال الأدب لا يتحقق إلا بمزج هذين العنصرين مزجا
(كيميائيا) لا يقبل التجزئة والتحليل، فانت اذا أردت أن
تذوق لونا من ألوان الطعام، فلا تعتمد إلى تحليله إلى عناصره
الأولى لتختبر كل واحد على حدة، بل لا بد لك أن تناوله وحدة
متماصة. كذلك الحال في الأدب: الكل شيء آخر غير أجزائه.
فالعلم وحده قطعة من العلم، واللفظ وحده كذلك جزء من
علم البلاغة والنحو والصرف، فإذا مزجت بينهما، كان لديك

فهل كنت تعلمين؟

اذكري تلك الايام ، تلك الليالي المقمرة ،
وحذارا ان تانسى سويحات الوصال الهنيئة ،
وبينا الناس في مفاجعهم ينام يغطون ،
كان يصهرني النسيم المنبعث من شفتيك ...
فهل كنت تعلمين ؟

كنت تذهبين فابقي مرتدشاً ،
وأوى إلي فراشي الموحش باكياً منتحراً ،
أراقب النجوم والشهب المتساقطة كالماخوذ ،
كنت مفتوناً بسحرك منذ عرفتك ...
فهل كنت تعلمين ؟

يذيق الفجر فاسمع وقع نعليك على السلام فيرتج قلبي ،
وارقب قدومك متحرفاً وقد امضتني الليل ،
فاذا بك تقبلين والكتاب تحت ابطك ،
فاشعر بمطرقته تحاول كسر ضلوعي بيننا انظر إلى صدرك
المجلل بسواد ثوبك الرهيب .

فهل كنت تعلمين ؟؟؟

ترجمة يحيى جركس

حلب :

بذلك آية أدبية خالدة .

فالفنون ومنها الأدب ، هي أشخاصنا وأرواحنا ، في حين أن
العلوم — كالأشياء نفسها — جامدة ميتة ، لاتتصل بنفوسنا
ولا تظهر فيها الشخصية الانسانية . وقد أحسن فيكتور هوجو حين
قال في كتابه (وليم شكسبير) : . ينادى كثير من الناس في
أيماننا هذه — ولا سيما المضاربون وفقهاء القانون — أن الشعر
قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ! الشعر أدبر زمانه الكائن
هؤلاء الفوم يقولون : ان الورد لن ينبت بعد ، وأن الريح قد
أصعد آخر أنفاسه ، وأن الشمس كفت عن الشروق ، وأنك تجول
في مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة ، وأن القمر
لا يظهر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لا يغرد ، والاسد لا يزأر ،
والنسر لا يحوم في الفضاء ، وأن قلل الآب والبرانس قد ادكت ،
وخلا وجه الأرض من الكواكب الفواتن والأفاع الحسان ...
لكأنهم يقولون انه لا أحد اليوم يسكن على قبر ، ولا أم تحب
ولبدها ، وأن أنوار السماء قد خمدت ، وقلب الانسان قد مات ،

والخلاصة أن الادب والفن بوجه عام ، ضرورة تحتمها لمشاعر
الرائدة على حاجة البقاء ، وأنها صورة دقيقة لنفوسنا ، تربطنا بالمالم
برباط الصداقة والرحم ، بخلاف العلوم ، فها صورة العالم الخارجي
ولا دخل للانسان فيها ، فهي من الانسان بمثابة الزائر الاجنبي الذي
لاتصله بنا وشائج القربى . وأحسب أننا لو خيرنا بين العلم . الأدب
لما ترددنا لحظ في أن ننبذ العلم نبذا ، ونتمسك بالادب ونهتزه
استرازا بالنفوس .

شركة مصر لغزل ونسج القطن

تلن شركة مصر لغزل ونسج القطن أنها أتمت تجهيز
مبيضة ومصبغة بمصانعها بالمحلة الكبرى لتبييض وصباغة
كافة انواع الخيوط والاقشة القطنية والكتانية ولتجهيزها
تجهيزاً نهائياً

وهي على استعداد تام لتبييض وصباغة كل ما يطلب منها
بأسعار غاية في الاعتدال ، ويسرها أن تجيب عن كل
استعلام يطلب منها

الذكرى

ولى ربيع الحب من بعد ما ضحى فؤادى كل ما يملك
وكنت ارجو قطف اثمارة اذا بها يا أسفا تملك

تركت عهد الحب في كوخه وقلت يقضى والاسى بعد حين
وعدت ادراجى وكل الذي خلفته للعيش . قلب حزين

وخلت في طول النوى سلوة تغنى عن الماضى وتخفى عليه
اذا بذكري وما أوجع الـ . . . ذكرى هذا اليوم عادت اليه

اسماعيل المظم حماء

في الأدب العربي

ماثر العرب في الفلك

مقدمة :

يعب البعض علي العرب انهم لم يكونوا عمليين، ولم يعرفوا من العلوم الا قسمها النظري، وهذا الاعتقاد خطأ، ويظهر فسادة جلياً بعض الالمام بتاريخ العلوم، إذ يتحقق لدى الباحث المنقب أن للعرب عدا ترجمتهم أهم نتاج قرائح الامم التي سبقتهم اضافات هامة وابتكارات حمة مينة على التجربة، على أساسها بني الغرب حضارته، ولولاها لما تقدمت المدنية تقدمها الحاضر. والآن سأبحث بصورة مجملة عن أهم مآثر العرب في علم الفلك، وطبعاً لا يمكنني في هذه العجالة أن أجول كثيراً في هذا الموضوع فهو أجل من أن يوفي حقه بمقالة، ولقد سبقنا الغريون الى البحث عن التراث العربي في الفلك وغيره من العلوم والفنون، وأظهروا الاكتشافات الفلكية التي للعرب وأثر ذلك في تقدم العلوم الطبيعية، وكان من ذلك ان اعترف المنصفون من علماء الفرنجة بخصب العقل العربي وفضل الحضارة العربية على حضارتهم التي ينعمون بها.

اعتناؤهم بالفلك :

لم يعرف العرب قبل العصر العباسي شيئاً يذكر عن الفلك، اللهم الا فيما يتعلق برصد بعض الكواكب والنجوم الزاهرة وحركاتها وأحكامها، بالنظر الى الخسوف والكسوف، وبعلقتها بحوادث العالم من حيث الحظ والمستقبل والحرب والسلام والمطر والظواهر الطبيعية، وكانوا يسمون هذا العلم الذي يبحث في مثل هذه الامور بعلم التنجيم، ومع أن الدين الاسلامي قديين فساد الاعتقاد بالتنجيم وعلاقته بما يجري على الأرض لم يمنع ذلك الخلفاء ولا سيما العباسيون في بادى الامر أن يعتنوا به وأن يستشيروا المنجمين في كثير من أحوالهم الادارية والسياسية، فاذا خطر لهم عمل وخافوا عاقبته استشاروا المنجمين فينظرون في حال الفلك واقتارات الكواكب ثم يسيرون على مقتضى ذلك،

وكانوا يعالجون الامراض على مقتضى حال الفلك. يراقبون النجوم ويعملون بأحكامها قبل الشروع في أى عمل حتى الطعام والزبارة (١) وما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدماً كبيراً في العصر العباسي كغيره من فروع المعرفة، وقد كانت بعض مسائله مما يطالب بمعرفتها المسلم كأوقات الصلاة ومواقع بعض البلدان المقدسة وقت ظهور هلال رمضان وغيره من الأشهر اضيف الى ذلك شغف الناس بعلم التنجيم، كل هذه ساعدت على الاهتمام بالفلك والتعمق فيه تعمقاً أدى الى الجمع بين مذاهب اليونان والسكندان والهنود والسريان والفرس، والى اضافات هامة لولاها لما اصبح علم الفلك على ما هو عليه الآن.

قد يستغرب القارىء اذا علم أن أول كتاب في الفلك والنجوم ترجم عن اليونانية الى العربية لم يكن في العهد العباسي بل كان في زمن الامويين قبل انقراض دولتهم في دمشق يسبع سنين. ويرجح الباحثون ان الكتاب هو ترجمة لكتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس الحكيم، والكتاب المذكور موضوع على تحاويل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية، (٢) وأول من اعتنى بالفلك وقرّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ابو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني، وبلغ شغف المنصور بالمشتغلين بالفلك درجة جعلته يصطحب معه دائماً نوبخت الفارسي، ويقال ان هذا لما ضعف عن خدمة الخليفة أمره المنصور باحضار ولده ليقوم مقامه فسير اليه ولده أبا سهل بن «نوبخت»، وقد ساعد المنصور كثيراً ابراهيم الفزاري المنجم وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وغيرهم، وهو الذي أمر أن ينقل كتاب في حركات النجوم مع تعاديل معمولة - على كدرجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك من الكسوفين ومطالع البروج وغير ذلك. وهذا الكتاب عرضه عليه رجل قدم سنة ١٥٦ هـ من الهند قيم في حساب السندھتا، وقد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزاري بترجمته وبعمل كتاب في العربية يتخذة العرب اصلاً في حركات الكواكب، وقد سباه المنجمون كتاب

(١) زيدان - تاريخ التمدد الاسلامي - ج ٣ ص ١٩٠

(٢) كرولنيلو - علم الفلك - ص ١٤٢

العرضي وابنه وابو الحسن، المغربي ومسلية المجريطي وابو الوليد محمد بن رشد وجابر بن الافلح واليهوني والخازن والطوسي وابن الشاطر والفخر الخلاق وجمشيد والقوشجي والبطروجي والفخر المراغي ونجم الدين بن ديران وعمار الدين الانصاري واولوغ بيك وقاضي زاده رومي والتيزيني والحزري وفتح بن ناجية وابو الفتح عبد الرحمن والغزالي والتوفقي وهبة الله والمدني ومبشر بن احمد ومحمد بن مبشر...

مآثرهم:

بعد ان نقل العرب المؤلفات الفلكية للأمم التي سبقتهم صححوا بعضها ونقحوا الآخر وزادوا عليها، ولم يبقوا في علم الفلك عند حد النظريات بل خرجوا إلى العمليات والرصد، فهم أول من أوجد بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار، وأول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة (١) وقالوا باستدارة الأرض وبدورانها على محورها وعملوا الازياج الكثيرة العظيمة النفع، وهم الذين ضبطوا حركة أوج الشمس وتداخل فلك هذا الكوكب في داخل أفلاك آخر (٢)، واختلف علماء الغرب في اكتشاف بعض أنواع الخلل في حركة القمر إلى البوزجاني أو إلى (تيخوبراهي) ولكن ظهر حديثاً أن اكتشاف هذا الخلل يرجع إلى ابي الوفاء البوزجاني لا إلى غيره (٣). وزعم الفرنجة أن آلة الأسطرلاب من مخترعات تيخوبراهي المذكور مع أن هذه الآلة والربع ذا الثقب كانا موجودين قبله في مرصد المراغة الذي أنشأه العرب (٤)، وهم (أى العرب) الذين حسبوا الحركة المتوسطة للشمس في السنة الفارسية، وحسب البتاني ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة، وظهر حديثاً أنه أصاب في رصده إلى حد دقيقة واحدة، ودقق في حساب طول السنة الشمسية وفي حساب اهليلجية فلك الشمس فاستطاع أن يجد بُعد الشمس عن مركز الأرض في بعدها الأبعد والاقرب وقد كانت النتائج التي وصل إليها قريبة جداً مما وصل إليه العلماء الآن (٥) والبتاني من الذين حققوا مواقع كثير من النجوم، وقال بعض علماء العرب بانتقال نقطة الرأس والذنب للأرض، ورصدوا الاعتدالين الربيعي والخريفي، وكتبوا عن كلف

السندهند الكبير الذي بقي معمولاً به إلى أيام المأمون (١) وقد اختصره الخوارزمي وصنع منه زيجه الذي اشتهر في كل بلاد الاسلام (٢) وعول فيه على اوساط السندهند وخالفه في التعاديل والميل لجعل تعاديله على مذهب الفرس وميل الشمس فيه على مذهب بطليموس، واخترع فيه من انواع التقريب أبوأحسنة، وقد استحسنة اهل ذلك الزمان وطاروا به في الآفاق (٣) وفي القرن الرابع للهجرة حول مسلمة بن احمد المجريطي الحساب الفارسي إلى الحساب العربي بمصر فلكيسهم:

زاد اهتمام الناس بعلم الفلك وزادت رغبة المنصور فيه، فشجع المترجمين والعلماء، وفي مدة خلافته نقل أبو يحيى البطريق كتاب الأربع مقالات لبطليموس في صناعة أحكام النجوم ونقلت كتب أخرى هندسية وطبيعية أرسل المنصور في طلبها من ملك الروم، واقتدى بالمنصور الخلفاء الذين أتوا بعده في نشر العلوم وتشجيع المشتغلين فيها، فلقد ترجعوا إلى العربية ما عثروا عليه من كتب ومخطوطات للأمم التي سبقتهم وصححوا كثيراً من اغلاطها و اضافوا إليها. وفي زمن المهدي والرشد اشتهر في الارصاد علماء كثيرون امثال دماشاء الله، الذي ألف في الأسطرلاب ودائرته النحاسية، واحمد بن محمد النهاوندي، وفي زمن المأمون الف يحيى بن ابي منصور زيحاً فلكياً مع سند بن علي، وهذا ايضا عمل ارساداً مع علي ابن عيسى وعلي بن البحترى، وفي زمنه ايضا أصلحت غلطات المجسطي لبطليموس، والف موسي ابن شاكر ازياجه المشهورة، وكذلك عمل احمد بن عبد الله ابن حبش ثلاثة ازياج في حركات الكواكب، واشتغل بنو موسى في حساب طول درجة من خط نصف النهار بناء على طلب الخليفة المأمون، وفي ذلك الزمن وبعده ظهر علماء كثيرون لا يتسع المجال لسرد اسمائهم كلها، وهؤلاء القوا في الفلك وعملوا ارساداً وازياجاً جليلة أدت إلى تقدم علم الفلك. امثال: ثابت بن قرة والمهاني والبلخي وحنين بن اسحاق والعبادي والبتاني الذي عده لالاندمن العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله، وسهل بن بشار ومحمد بن محمد السمرقندي، وابو الحسين علي بن اسماعيل الجوهري، وابو جعفر بن احمد بن عبد الله بن حبش، وقسطه البعلبيكي والكندي، والبوزجاني وابن يونس والصاغاني والكوهي والمؤيد

(١) كاجوري - تاريخ الرياضيات - ص ١٠٦

(٢) سيدريو - خلاصة تاريخ العرب - ص ٢٣٣

(٣) كاجوري تاريخ الرياضيات - ص ١٠٥

(٤) سيدريو - خلاصة تاريخ العرب - ص ٢٣٣

(٥) المنتطف - مجلد ٣٩ - ص ١٤٨

(١) ابن القفطي - كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء - ص ١٧٧

(٢) المنتطف مجلد ٣٩ - ص ١٤٦

(٣) ابن القفطي - كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء - ص ١٧٨

الشمس وعرقوه قبل أوربا (١) وانتقد أحدهم وهو أبو محمد جابر بن الأفلح المجسطي في كتابه المعروف بكتاب إصلاح المجسطي وكان جابر يسكن في أشيلى في أواسط القرن السادس للهجرة . وقد دعم انتقاده عالم آخر ، اندلسي وهو نور الدين أبو اسحق البطروجي الأشبلي في كتابه الهيئة الذى يشتمل على مذهب حركات الفلك الجديد (٢) ويقول الدكتور سارطون انه بالرغم من نقص هذه المذاهب الجديدة فانها مفيدة ومهمة جداً لأنها سهلت الطريق للنهضة الفلكية الكبيرة التى لم يكمل نموها قبل القرن العاشر (٣) وإبحاثهم في الفلك أوحى لكبير « ان يكتشف الحكم الاول من أحكامه الثلاثة الشهيرة وهى اهليلجية افلاك السيارات ، (٤) وأخيراً نقول ان العرب عند ما تعمقوا فى درس علم الهيئة « طهره من ادران التنجيم والخزعات وارجعوه إلى ما تركه علماء اليونان علما رياضيا مبني على الرصد والحساب وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الحركات والظواهر الفلكية ، (٥)

المراصد وبعضها آلاؤها والأزياج :

لم يصل علم الفلك عند العرب الى ما وصل اليه الا بفضل المراصد ، وقد كانت هذه نادرة جداً قبل النهضة العلمية العباسية ، وقد يكون اليونان أول من رصد الكواكب بالآلات وقد يكون مرصد الاسكندرية الذى أنشئ في القرن الثالث قبل الميلاد هو أول مرصد كتب عنه ، ويقال أن الأمويين اهتموا مرصداً في دمشق (٦) ولكن الثابت أن المأمون هو أول من أشار باستعمال الآلات في الرصد ، وهو الذى ابنى مرصداً على جبل قيسون في دمشق وفي الشامية في بغداد ، وفي مدة خلافته وبعد وفاته أنشئت عدة مراصد في أنحاء مختلفة من البلاد الاسلامية ، فلقد ابنى بنو موسى مرصداً في بغداد على طرف الجسر ، وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر من عروض القمر (٧) وبنى شرف الدولة أيضاً مرصداً في بستان دار المملكة ، ويقال أن الكوهي رصد فيه الكواكب السبعة . وأنشأ الفاطميون على جبل المقطم مرصداً عرف باسم المرصد الحاكمي ، وكذلك أنشأ بنو الاعلم مرصداً

عرف باسمهم ، ولا ينبغي أن ننسى ان مرصد مراغة الذى بناه نصير الدين الطوسي في القرن السابع للهجرة من أهم المراصد التى قدمت بعلم الفلك تقدماً محسوساً ، ويوجد عدا هذه مرصد أخرى في مختلف الانحاء كمرصد ابن الشاطر بالشام ومرصد الدينورى باصهان ومرصد البيروني ومرصد اولوغ بك بسمرقند ومرصد البتاني بالشام ومراصد غيرها كثيرة خصوصية وعمومية في مصر والاندلس واصهان ...

كان للرصد آلات وهى على أنواع ، وتختلف بحسب الغرض منها ، وهالك أسماء بعضها : البنية ، والحلقة الاعتدالية ، وذات الأوتار وذات الحلقي ، وذات السميت والارتفاع ، والآلة الشاملة ، وذات الشعبتين ، وذات الجيب ، وذات المشتبهة بالناطق ، والاسطرلاب وأنواعه ، المتعددة وقد اعترف الفرنجة بأن العرب أنقنوا صنعة (١) وثبت ان الاسطرلاب وذات السميت والارتفاع والآلة الشاملة والرقاص وذات الأوتار والمشتبهة بالناطق كل هذه من مخترعات العرب عدا ما اخترعوه من المساطر والبراكير وعدا التحسينات التى أدخلوها على كثير من آلات الرصد .

في هذه المراصد عمل المسلمون ارسادا كثيرة ، ووضعوا الأزياج القيمة الدقيقة . وعلى ذكر الأزياج نقول ان مفرد هازيج وفي معناه قال ابن خلدون « ومن فروع (علم الهيئة) علم الأزياج وهى صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في افلاكها لآى وقت فرض من قبل حسابان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة . ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهلا على المتعلمين وتسمى الأزياج ، (٢) ومن أشهر الأزياج زيج ابراهيم الفزارى وزيج الخوارزمي وأزياج المأمون وابن السمع وابن الشاطر وأبى حماد الأندلسي وابن يونس وأبى حنيفة الدينورى وأبى معشر البلخي والأيلخاني وعبدالله المروزي البغدادي والصفاني والشامل (لآى الوفاء) والشامى (نصير الدين الطوسي) وشمس الدين وملكشاهى والمقتبسى (لآى العباس بن احمد بن يوسف بن الكاد) و ... (البقية على الصفحة ٣٠)

(١) كتاب تراث الاسلام Le gacy of Islam ص ٣٩٥

(٢) مقدمة ابن خلدون - طبعه المعارف ص ٥٨٥

(١) المقتطف - مجلد ٣ - ص ٦٠

(٢) مجلة الكلية الامريكية ببيروت مج ١٨ ج ٥ ص ٣٦٩

(٣) مجلة الكلية الامريكية ببيروت مج ١٨ ج ٥ ص ٣٦٥

(٤) المقتطف مجلد ٣ ص ٦٠

(٥) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٨

(٦) المقتطف مجلد ٣٩ ص ١٤٦

(٧) سيدو خلاصة تاريخ العرب - ص ٢١٠

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

أنظم شاعر الخلود شوقي بك مجموعة من رائع الشعر الحكيم السهل لتكن للأطفال أدباً وثقافة، ويسرنا أن ننشر اليوم قطعة منها لم تنشر من قبل وعنوانها المظنونة (ولد الغراب)

ومهد في الوكر من
كروهب متقلس
لبس الرماد علي سوا
كالفحم غادر في الرما
ثلثاء منقار ورا
ضخم الدماغ على الخلو
من أمه لقي الصن
جلبت عليه ما تذو
فكنت به فتوهمت
قالت كبرت ، فثب كما
ورمت به في الجو لم
فهوى فزق في فسا
وسمعت قافات ترد
ورأيت غربا تنفر
وعرفت رنة أمه
فاشرت فالتفت فقل
أطلقته ولو امتحن
وكما كترفت والدنا

ولد الغراب ممزق
متأزرج متسقط
د جناحه والمفرق
د بقيته لم تحرق
س والظافر ما بقي
من الحجى والمنطق
ير من البلية ما لقي
د الأمهات وتبقى
فيه قوى لم تخلق
وئب الكبار وحلق
تحرص ولم تستوثق
الدار شر ممزق
د في الفضل وترقى
ق في السماء وتلقى
في الصارغات العنق
ت لها مقالة مشفق
ت جناحه لم تطلق
ك عليك لم تترقب

أصراء الربيع

قم إلى جدّة الزمان وغيب سورة الهم في مجالي زيبعة
خلص القلب من ماتم كانوا ن وعاد الشادى إلى ترجيعه

عبرت بالسمول أنفاس آذا ر وساف المشتاق نفح الزهور
رقة في الفضاء شاعت ولطف ساغ للنفس كالهوى في الصدور

واكتسى الدوح نضرة بعد عري ولكان رب في المشيب الشباب
وتغنى الحمام فيه وساحت تحت أظلاله عيون عذاب

وكان الروض الذى نهته من كرى غفوة النسيم العليل
طرفة تملأ العيون بهاء أخلصتها بمنى حبيب جميل

قم إلى البشر والطلاقة وانقض عن حياك كدرة الأيام
سيقول الحياة غول وتبقى متع العيش حسرة في العظام

وتناس الآلام يندمل الجر ح تنصب في مقتلِك الدموع
أنت أضريت بالفؤاد رزايا ه فضاقت بما تكن الضلوع

أنت أحسست من شجونك ماخيات واخترت أن تكون شقيا
أما الحزن والسرور اعتبار لم يكونا لولاه في النفس شيا

أيها القلب قد أظلك آذا ر ورقت على الرأبا آصالة
فزوده منه ليومك حظا قبل أن يوحش القلوب زواله

لا تسئل عن غدٍ وسخل المقادير فقد كن في الغيوب وكانا
حسبنا من مغائم العيش يوم حاضر السعد عن غد أغنانا

أيها القلب إن دعاك التصابي وثبت العنان ضل ضلالك
لا تجب داعي الرشاد قدما شقيت في طلابه أعمالك

واعبد الحسن في الطبيعة طفلا برئت روحه، وفي الغيد سحرا
وقونا ينهي الفتى عن نهاه كلما دار بالمحاجر أغرى

أرسل الشوق هفة، وخفوقا يوهن الجسم أويداوي ضناه
وابعث الحب في الجوانح برقاً يهتدي ناظري ضحي بسناه

رفيق فاخوري

(سورية) حمص

في الأدب الشرقي

نامق كمال

للدكتور عبد الوهاب عزام

أثر عظيم على « نامق كمال »، واضرابه من الشبان ، فاعجب كمال
بـ « وشارك في تحرير جريدته ودعا الى تجديد تركيا في السياسة
والادب وعظمت مكانته . فلما فر شناسي افندي الى باريس ١٢٨٠ هـ
(١٨٦٤ م) خلفه في تحرير الجريدة ، فانتشرت « تصوير أفكار »
انتشاراً عظيماً .

وقد ضاقت الحكومة العثمانية ذرعاً بمقالاته فأرادت أن
تشغله ببعض المناصب فجعل متصرفاً للقلعة السلطانية في غليولى
زمناً قصيراً وهو في سن ٢٣ . وبعد حين أريد إرساله سفيراً الى
بلاد الدجم فأمي . وانتهى الامر بينه وبين الحكومة الى أن فر
هو وجماعة من أنداده الى لدره سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) ويقال
انه ذهب اليها اجابة لدعوة مصطفى فاضل باشا ونشر في لندرة
جريدة « المنبر » ثم نشرها في باريس ونشر بعدها جريدة « الحرية »
وفي باريس درس الحقوق والاقتصاد السياسي وترجم بعض
الكتب من الفرنسية .

ولما مات الوزير على باشا سنة ١٢٨٧ هـ رجع كمال الى استانبول
فنشر جريدة « عبرت » فصارت أعظم الجرائد التركية . ولا يزال
أدباء الترك يحرصون على صفحات هذه الجريدة ومقالاتها ، وكتب
اذا ذاك قصة « وطن ياخود سلسيريا » فلم تحتل الحكومة جرائده
وصرامته ، ففقه الى قبرص فحبس بها وكتب هناك قصته الأخرى
« عاكف بك » .

ولما تولى السلطان مراد رجع الى استانبول بعد أن أقام في
منفاه ٣٨ شهراً ، وشارك مدحت باشا وضيا باشا في تحرير الدستور .
ولما تولى السلطان عبد الحميد لم يصبر على أفوال كمال وأقاله ،
فأخذ وحبس خمسة اشهر ونصف ، شغل أثناءها بقراءة التاريخ
ابتغاء أن يكتب تاريخاً للجيش العثماني . ولما برأته المحكمة بما اتهم
به نفاه السلطان الى جزيرة متلين وهناك كتب قصائد أعرب فيها
عن شكائه وحزنه ، وكتب قصتين « جلال الدين خوارزمشاه »
و « جزى » تناول فيهما بعض حقائق التاريخ الاسلامي . ثم جعل
متصرفاً للجزيرة التي هو بها ثم نقل الى رودس وكانت أكثر ملامه

أبو الأدب التركي الحديث الذي نزل من أفكار الترك
وقلوبهم منزلة لم ينزلها غيره . والذي لا تزال آثاره مدونة في التاريخ
التركي الحديث ، محفظة في قلوب الجيل الحاضر . ولد سنة ١٢٥٦ هـ
في أسرة مجيدة يجمع تاريخها كثيراً من كبار الدولة العثمانية
وكان أبوه مصطفى عاصم بك فلكيا ، وجده شمس الدين بك
رئيس المايين في عهد السلطان سليم الثالث ، وأبو شمس الدين
قعودان أحمد راتب باشا الذي انتهى نسبه الى الصدر الأعظم
طريال عثمان باشا .

وأبو الشاعر من يكي شهر وأمه من قونية في ألبانيا . وكان
أبوه ديناً متصوفاً ، فلما ولد المرلود العظيم أخذه الى أحد الدراويش
فدعا له أن « يكون كمالاً للإسلام » ، فلم يزل في دار أبيه ودرس فيما
درس بها العربية والفارسية والفرنسية ، ولم يتلم في المدارس الا
تسعة أشهر .

وفي سن الثانية عشرة ذهب مع جده الى قارص وكان يمضي
أكثر أوقاته في الصين ، ثم ذهب الى صوفيا حيث شرع يقرض
الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره . ثم عاد الى استانبول
وهو ابن ١٧ فصار مترجماً في الباب العالي واتصل بجماعة من
الأدباء الذين يكبرون الشعراء القدماء ويسـيرون على نهجهم
فشارك في الشعر وعرف به ونشر ديواناً صغيراً تسمي فيه « نامقاء »
كدأب شعراء الفرس والترك في اتخاذ اسم شعري يردده الشاعر
في منظوماته فيعرف به .

وكان شناسي افندي أحد أدباء الترك الذين تعلموا في فرنسا
يحتذى الشعراء الفرنسيين ويحرض ناشئة الأدباء على اتباع أسلوب
جديد في الأدب ، وكان لمقالاته في جريدته « تصوير أفكار »

وهذه قطعة منظومة ختم كل بيت منها بكلمة « على رغم » ،
فتمثل في هذا التكرار اصرار النفس الكبيرة وثباتها على الدهر القلب:
لست أبالي ان اعود تراباً على رغم عمري ، ولست أفر من
عنصري ، على رغم الممات .

لا تجمعان نفسك أذل من التراب الذي تطؤه ، اثبت على
عزيمتك على رغم الدهر الذي لا ثبات له .
ما تمثل لي الباطل حقاً قط ، ولقد اعتمدت على الحق ، على
رغم الآلهة كلها .

لا يخفني داهية آراه ، أعرض على الناس ما تعرف على
رغم الدهاة أجمعين .

إن كان لا بد للحياة على ظهر الارض من تمرير الوجه بالتراب
فاختر بطن التراب على رغم الحياة
رأيت مسير الكائنات شراً فاعتزلتها ، ووقفت في هذه السبيل
وحيداً على رغم الكائنات .

وما التفت قط الى الخطوط الفاتنة على رغم ملاح في طالعي
من آلاف الخطوط .

وهذه أبيات من قصيدة حماسية طويلة .
رأيت ولاية العصر قد حادوا عن الاخلاص والصدق
فهجرت المناصب عزيزا سعيدا . ان جرثومة هذا الجسم تراب
الوطن ، فاذا يفيد أن يمزقه الجور والحنة في سبيل الوطن ؟
لا يعين الظلمة الا الأوغاد كما ينعم الكلب في خدمة الصياد
السفاح .

من يخش لوم الناس ولا يستع من نفسه فنفسه أحقر الناس
عنده .
ان انتقام العقلاء من الدهر أن يعتبروا بحادثاته فيزدادوا جدا
وصرامة واقداما .

انتصار الامة في اتحاد قلوبها والرحمة في اختلاف آرائها
ان عزيمة الرجل المسكين تدير العالم ، والدنيا في اضطراب من
ثبات أولى العزم :

ليس على الأسد المسلسل عار ، ولكن العار على الفلك الذي
ينصب لحرب أولى الهمم .

نحن سلالة الكرام من بني عثمان اختمرت طينتنا بدم الشهادة
(البقية على صفحة ٣٠)

لصحته . وفي رودس شرع يكتب تاريخ الدولة العثمانية وقد جمع
بها مكتبة حافلة مكتبته من التأليف ، ثم جعل متصرفا لمثلين فعاد
اليها وواصل كتابة تاريخه على رغم مرضه ، حتى منعت الحكومة
ان يطبع هذا التاريخ وأمرته ألا يستمر في كتابته . وبعد سنة
توفي سنة ١٣٠٥ هـ .

لا يتسع المجال هنا لتعداد مؤلفات نامق كمال ، ولكن يمكن
جمالها في الديوان وثمانى قصص ومؤلفات تاريخية ، منها « اوراق
پريشان » ، التي ترجم فيها لصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وسليم
الأول ونوروز بك ، ومقدمة في تاريخ الرومان والتاريخ الاسلامي ،
ولكتاب ردّ فيه مزاعم رينان الفرنسي سماه : « رينان مدافعه
نامه سي » ، وهو من أحسن ما كتب في رد ما كتبه رينان عن
الاسلام . ومقالات عديدة هي من أروع آثاره .

ويتجلى في كتب كمال حماسه وغيرته واخلاصه في سبيل وطنه
والاسلام ، كما يتجلى الخلق العظيم ، والنفس الكبيرة ، والعزيمة
الماضية ، والصبر على المسكاره ، والخيال الرائع ، والتصوير الجميل ،
والاعراب الحرّ عن آرائه ومشاعره .

ولا ريب أن كالا هو خالق النثر التركي الحديث ، والذي مهد
للأدباء الطريقة المثلى في الشعر بعد أن هداه اليها شناسي افندى :
وهذه قطع من آثار نامق كمال وان آثاره لأعظم وأكثر من أن
تبين عنها هذه القطع الصغيرة : قال من مقال منشور عن الشعر والشعراء :

الشاعر مخلوق من البسمات الحزينة : بسمات الطبيعة في أشد
أوقاتها وجدا وولها .

ترى في ضحكه أر البكاء كقطرات الندى على صفحة الورد ،
وتلوح في بكائه بسمات الابتسام كقوس قزح في السحاب المكفهر .
هو أشد الخلاق استئساراً للطبيعة ولكنه يحاول أن يسمو فوقها ،
بينما هو لا يحسن تدبير أمره ، يبغى أن يدفع بذراعيه الضعيفتين كرة
الارض إلى مركز كمال جديد ومحور سعادة آخر ، فاذا عجز بما يريد أرسل
أناته الحزينة كأنات البلائل في الاقفاص خلف الحجب السوداء ،
او صاح صياح النسر قد حلقت في اللوح حتى ضاق بها نفاسها
الهواء فاهوت مسرعة تملأ الهواء ، صرصرتها .

الشعر هذه الصيحات الأليمة ، والشعراء هؤلاء البؤساء الذين
فطروا على هذه الفطرة ، لا من يؤلف التفاعيل والأفاعيل من خمسة
عشر حرفاً أو يستطيع أن يؤلف القوافي من ثمان وعشرين كلمة . الخ

في الأدب العربي

من الأدب الفرنسي

عرب فلسطين

شاتو برياه

للاستاذ أبي قيس

(١٨٤٨ - ١٧٦٨)

ولد فرنسوارنيه شاتوبريان في سان مالو وهو قدوة الكتاب في القرن التاسع عشر، اقتبس عن الفصحاء المدرسين كبسكال وبوسويه وفولتير، وتأثر ببلغاء الابتداعيين كرسو وبرناردان، ولكنه لم يقلد منهم أحداً. هو مصور ماهر لا يصف إلا ما يشاهده بام العين فيثير في مخيلة قارئه أروع المشاهد، ويبالغ في الاتقان والمحاكاة حتى يجعل الغائب كالشاهد، ففتح بذلك مغالق الطبيعة وكشف عن سواحر محاسنها.

وهو ذلك الشاعر الذي يصور ببراعة حركات الفؤاد ووثباته، والخطيب البليغ الذي يرتفع حجاب السمع لرائع تشبيهاته واستعاراته، ولم يظهر في القرن التاسع عشر أسلوب أغخم ولا أسلس ولا أكثر تنوعاً من أسلوبه، فكان لتبسطة في فنون البراع أماما للشاعر المبدع، والكاتب المتمتع، والمؤرخ الصادق، والناقد المنصف، والخطيب المثير، والقصصى القدير؛ وحسبك دليلاً على مبلغ تأثيره في كتاب عصره أن فكتور هوغو كتب على دفتره المدرسي وهو في الخامسة عشرة من عمره: أريد أن أكون شاتوبريان أو لا أكون شيئاً،

ومن روائعه: الشهداء وروح النصرانية، ورحلة من باريس إلى بيت المقدس وهي التي عربنا منها للرسالة وصفه لعرب فلسطين، وحوادث آخر بني سراج التي عربها الأمير شكيب الأديب المنتج العجيب، ولخصها صاحب النظرات، وأتالا التي نقلها فرح أنطون إلى العربية

العرب، حيثما أبصرتهم، في فلسطين ومصر أو في بلاد البربر، قد ظهروا إلى بقامة أقرب إلى الطول منها إلى القصر، مشيتهم البخترية برشاقة طبعوا عليها، وخلقتهم في أحسن تقويم: وجوه مسنونة، وجباه مقوسة عريضة، وأنوف يزينها القنا والشمم، وعيون أنجل لوزية الشكل ذات نظر ندى عذب، ثم لاشيء يشعرك منهم بوحشة، وإن لبثت أفواههم مطبقة أبداً: ذلك أنهم إذا ما أخذوا في التحدث إليك أسمعوك لغة تطربك نغمتها، ويفغمك شذاها، ولحت ثغوراً يروعك البياض الناصع من ثناياها، والشنب (١)، مما يذكرك بأسنان العساير (٢) وبنات آوى والعربي يرتدى — على الأغلب — جلباباً يشده الحزام على الخصر، وتراه ينزع يده حيناً من كم جلبابه هذا فيمثل لك الردية القديمة، وتبصره حيناً آخر يلف بعباءة من صوف فتكون له رداء أو كساء أو وقاءً من الحر بحسب التفافه بها أو طرحها على منكبيه أو رأسه، وهو يمشى حافياً (أو متعللاً)، ويتسلح بالبندقية والخنجر والرمح الطويل.

إن القبائل ترحل قوافل، والابل تمشي قطاراً، والبعر الأول منه يحمله بحمل من مسد حمار هو قائد القافلة: فهو لذلك قد أكرم باعفائه من الانتقال، وبما حبه من أنواع الرعاية والاختصاص، والعشائر الموسرة تزين الأباغر بالمحمل المهدب والريش والبنود. أما الجواد فانه يكرم على قدر استيفائه لأقسام العتق والكرم، ولكنهم مع ذلك لا يتساحون في سياسته أبداً، فلا يحبسون الخيل في الظل، بل يعرضونها للفقح الهواجر، مربوطة بالأوتاد من قوائمها الأربع ربطاً تجمد له في مقرها، وهي أبداً مسرجة، وكثيراً ما تقضى نهارها على ورد واحد، ولا تعلق في اليوم كله الاحفقات

(١) الشنب: رقة الإنسان واستواؤها. (٢) جمع عسبر وهو نوع من السناير الكبيرة التي تقطن أسية وإفريقية ويلقبه الفرنسيون بفهد التلج

من الشعير : ومثل هذا التقير في العلف ، مع أنه لا يهزلها ، كغليل
بتعويدها السرعة والصبر والقناعة .

راقى كثيرا جواد عربي كان مقيدا في الرضاء . وشعر عرفه
منتشر ، ورأسه منحني بين يديه التماسا لبعض الظل ، وهو ينقد
بعين وحشية صاحبه نظرا اليه عن عرض شزرا ، فإذا ما انت
فككت قيده ، وقذفت بنفسك على ظهره ازبد وحمحم . ثم نهب
الارض نهبا .

ان كل ما يروى لنا عن ولع العرب وغرامهم بالقصص هو
حق لا مرية فيه ، وانا مورد لك على ذلك مثلا :

سمروا ذات ليلة على الرمل من ساحل البحر الميت ، وبات
اللاحه (١) حول النار المتأججة وبنادقهم ملقاة الى جانبهم على الارض
والخيل ، وهي مثلا على شكل دائرة ، موثقة بأوتارها ، وبعد ان
حتسنا القروة ، وتجاذبنا اهداب الاحاديث ، سكث هؤلاء العرب
ما خلا شيخهم الذي كنت الملح من خلال سنا النار حركات وجهه
الناطقة ، ولحيته السوداء . واسنانه البيض ، والاشكال المختلفة
التي كانت تتشكل بها اثوابه ، وهو مغمض في سرد قصته . وكان
اصحابه يصغون اليه الاصغاء كله ، مانئين اليه بؤوسهم ، ومتبليين
بوجوههم على اللهب ، وهم يصيحون نارة صيحة اعجاب وطرب ،
ويقلدون اوضاع الشيخ المحدث نارة اخرى ، وبعض رؤوس
من الخيل كانت ممتدة فوق السامر (٢) باعافها ، وأنت لتتيناها
في العتمة ، فكم كل بها صورة تلك اللوحة الرائة ولا سيما اذا انت
اضفت اليها ناحية من البحر الميت ومن جبال فلسطين !

دمشق أبو قيس

(١) اهل بيت لحم (٢) ام جمع معى السامر

وكلاء الرسالة في الخارج

في الخرطوم : عبد الرحمن احمد

في دمشق { السيد محمد كامل القصار
صاحب مكتبة المحكمه

د حلب { السيد عبد الودود السكيالى
صاحب المكتبة المصرية

د العراق : محمود حلمي صاحب المكتبة المصرية

د صفاقس : السيد محمد محمود الموتر

د مراکش : عمر اشماعو

(بقية المنشور على صفحة ٢٧)

ونحن اولو المجد والهمم العالية الذين اخرجوا من عشيرة صغيرة
دولة مسيطرة على العلم ، ونحن أصحاب السجايا الرفيعة الذين يرون
في ميدان الحمية تراب القبر أهون من تراب المذلة .

هلم أيها الفلك اجمع مظالمك كلها ثم اصمد الى فان كلت عزيمتى
في سبيل الامة فأنا المرأة الهلوك ...

أيها الظالمون احذروا منازلة أبطال الحق فان نار الحمية تصهر
سيوف الظلم

٤٠

وهذه رباعية دائرة على الاسن من ماثور قوله :

ما حملت في حياتي سلاسل الاسار

وان الدنيا تعرفنى مبرا من قيودها والآصار

هذا ميدان الحمية لا تفر أيها الجبار

فليمحك الله من هذا العالم أو فليمحني .

عبد الوهاب عزام

✽ مآثر العرب في الفلك ✽

(بقية المنشور على الصفحة ٢٥)

الخلاصة

وبالجملة فان للعرب فضلا كبيرا على الفلك .

(اولا) لان العرب نقلوا الكتب الفلكية عند اليونان
والفرس والهنود والكلدان والسريان وصحجوا بعض اغلاطها
وتوسعوا فيها وهذا عمل جليل جداً لاسيما اذا عرفنا ان اصول
تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها في العربية وهذا
طبعاً ما جعل الاوروبيين ان يأخذون هذا العلم عن العرب فكانوا
(اى العرب) بذلك اساتذة العالم فيه

و (ثانيا) في اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التي
تقدمت بعلم الفلك شوطاً بعيداً

و (ثالثاً) في جعلهم علم الفلك استقراراً وفي عدم وقوفهم
فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان

و (رابعاً) في تطهير علم الفلك من ادران علم التنجيم ؟

نابلس — فلسطين قدري حافظ طوقان

د عضو الجمعية الرياضية بلندن ،

العلوم

الرياح

للدكتور محمد عوض محمد

فان نظرات الملاحين الى الرياح نظرات حادة جادة .
وليس من سبيل لانكار ماللرياح من أباد يضاء يوم كانت
هى القوة الفعالة التى تدفع السفن على اديم الماء . فملت الناس
ان يتعارفوا وان يتعاملوا ويتعارفوا . وهدتهم لان يتاجر بعضهم
مع بعض ، ويتعلم بعضهم من بعض ، وكيف يستطيعون . .
وباللاسف — ان يسطو بعضهم على بعض ويفتك بعضهم ببعض ؟
كانت الرياح هى الوسيلة الوحيدة الى قطع البحار والتقريب
بين البعداء .

والن كانت البواخر اليوم فى غنى عن الرياح ، فانها لم تنزل
تخشوها وترهبها ، فان الرياح ما برحت قادرة على إثارة موج
كالجبال ، ترعد له فرائص الركب ، ويرتاع له الملاحون .
وهناك سفن جديدة ، لا تجرى على صفحة الماء ، بل تشق
عباب الهواء ، وتحلق فيه تحليق العقاب . وهذه تخشى الرياح وتحسب
لها ألف حساب ، فلن كانت دولة الرياح قد دالت على صفحات
الماء ، فان لها فى عالم الطيران سلطاناً لا يزال فى أشد عنفوانه .

ثم إن هنالك طائفة من الناس أشد خطراً من هؤلاء جميعاً
أو على الأقل تعد نفسها أعظم خطراً من الناس جميعاً — وهى
طائفة العلماء ، علماء الطبيعة الذين يدرسون ظاهراتها ، ويحاولون
أن يطلعوا على اسرارها . هؤلاء همهم أمر الرياح كما همهم كل شيء
على وجه الأرض وعلى غير وجه الأرض ، وهم يفتونها ولكن
لا على طريقة الشعراء . فلا يحملونها سلاماً ولا كلاماً بل يقيسون
سرعتها باحكام ويعرفون اتجاهها بدقة ، ويشرحون لك ما يسببها وما
لا يسببها ، ويميزون أقوالهم بأرقام ورموز يوهمونك بها أن
فى الامر أسراراً غامضة وأن صدورهم هى خزانه تلك الاسرار .

والآن فلتحدث عن الرياح حديث الدلم أولاً ، ثم نعود
فتحدث عنها حديث الأدب ، وهكذا نقدم للقارىء الغذاء الدسم
فى البداية ، تاركين الحلوى الى النهاية .

فلنذكر أولاً ان هذه الكرة ، التى نزحف كلها على سطحها ،
يحيط بها غلاف عظيم من الهواء : غلاف لم يسر أحد غوره تماماً ،
وقد يكون عمقه مائه ميل ، وقد يكون مائتين ، بل لقد يكون

لعلنا معشر المصريين من أقل الامم اكتر ائاً لأمر الرياح ،
نعيش حياتنا كأننا لا يهب علينا الا نسيم عليل أو ربح رخاء ،
لأنستنى من هذا غير شهر أمشير ، الذى ننتعه بالأرعن . ولا يلبث
أن يمضى أمشير حتى تناسى ان فى العالم عواصف وزوايع وأعاصير ،
منها ما يثير التراب ، وما يقتلع الشجر ، ويهدم المنازل والدور
على ان هبوب الزوايع حتى فى بلادنا — بلاد النعومة والسهولة
ليس بالشئ البادر . وكثيراً ما نحس فى أمشير وغير أمشير من الشهور —
تلك الحركة الغنيمة فى طبقات الهواء ، وانها تهيب بنا فجأة ونحن عنها
لاهون ، فاذا ابوابنا تفرع بعنف . ونوافذنا تكسر ، واذا سحب
من الشئ المطار تتخذ سبيلها الى أعيننا وآذاننا وانوفنا الرغمة .
وهذه الزوايع قد تدوم ساعة وبمض ساعة أو يوماً أو بمض
يوم ، ثم لا يلبث الهواء ان يعود نسبياً . ولا تلبث الريح أن تعود
رخاء ، ونحن قوم سرعوا النسيان ووطننا العزب سريع الغفران
ومع ذلك فما اجدرنا أن يزداد اهتمامنا بأمر الرياح ، فانها
من الامور التى تعنى بها طوائف عديدة من الناس فى كل زمن
وكل بلد . فالشعراء مثلاً من اكثر الناس اهتماماً بالرياح . طالما
ذكروها ونعتوها ، وحملوها رسائل الغرام ، بل قد تبلغ بالواحد
منهم الجراءة أن يحماها القبلات والآهات والانات :

ولانى لاستهدى الرياح سلامكم

إذا أقبلت من نحوكم بهبوب ،

وأسلها حمل السلام اليكم

فان هى يوماً بلغت فاجبى !

وطالما أنارت شجونهم ، وبعثت الحنين فى نفوسهم ، والدمع

فى مآقيهم ، وما أسهل انهماء دموع الشعراء !

وكأنى بك أيها القارىء تنوهم أن هذا كله ليس بامر ذى خطر ،

بل قد ترى انه من السخف أو دونه السخف ، وقد تكون فى هذا

مصيباً . ولكن اذا كانت نظرة الشعراء الى الرياح خفيفة سخيفة

أكثر من هذا . وإن سألت العلماء كيف عرفوا عمق الهواء ، ولو على وجه التقريب ، قالوا لك أنهم يرقبون سقوط الشهب حين تندفع نحو كوكبا العزيز ، فإذا رأوها تأخذ في الاحتراق ، علموا أنها قد بدأت تحتك هوائنا ، فإذا استعانوا بالآلات راصدة سليمة لم يتسرب اليها الخلل وكان عقل الراصد أيضاً سليماً يتسرب اليه الخلل استطاعوا أن يعرفوا على وجه التقريب درجة ارتفاع الهواء عن أديم الغبراء .

وهناك طرق أخرى يقاس بها عمق الهواء ، ولكن لن أنعب نفسي وأجهد القاريء في شرحها وتفهمها . وقد يتفضل بعض الاصدقاء ، من العلماء ، بالرد على هذا المقال ؛ ثم يتوسع في الشرح والبيان بما يشفي غلة الظمان .

علينا إذن أن هذا الكوكب يشمل الهواء من جميع النواحي . ولحكمه إلهية عظيمة قد أحيطت الأرض بهذا الغطاء الكثيف الذي يحول دون أن تنفذ إلى الفضاء رائحة ما بالأرض من أدنان وآثام . وما يغشاها من بغي وظلم . . فلنحمد العناية التي عملت على وقايتها شر الفضيحة ، فلم تطلع سكان السموات على ما انغمست فيها أرضنا من آثم ورجس وفسوق وعدوان .

هذا الغلاف العظيم الذي يحيط بالأرض ليس هادئاً ساكناً ، بل فيه حركة دائمة . وهذه الحركة هي التي نحسها حين نحس بهبوب الرياح . وأرل - ژوال يعرض لنا طبعاً هو : لماذا يتحرك الهواء ، ولماذا تهب الرياح ؟

إن الشاعر العربي يتساءل : « أم هبت الريح من تلقاء كاظمة ؟ ، ويريد هو وأتباعه من الغاوين أن يوهموا العالم أن الريح ما هبت من تلقاء كاظمة إلا لكي يستطيع حضرته أن يمزج دمه جري من مقله بدم ! ونحن نؤكد للشاعر الفاضل أن الريح لا يهبها إذا كان يمزج دمه بدم أو يمزج الماء بالراح أو الوبسكي بالصودا .. وإذا كانت الريح قد هبت من تلقاء كاظمة ، فما ذلك إلا لأن الضغط الجوي شديد (عال) في جهة كاظمة وخفيف يسير (منخفض) في الناحية التي كان بها الشاعر .

ولقد يقف القاريء عند كلمة الضغط هذه ويتساءل - وحق له أن يتساءل - كيف يكون في الجو ضغط شديد أو غير شديد ؟ أنا نسلم بأن في الأرض ضغطاً وطلباً ، واستبداداً متفاوت من مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان . ولكن أيكون في الهواء ضغط وهو تلك المادة اللطيفة ؟

والجواب على هذا السؤال بالإيجاب . فإن الهواء في بعض

النواحي شديد الضغط ، وفي نواح أخرى خفيف الضغط ، فيندفع الهواء من الناحية التي يشتد بها الضغط إلى الناحية التي يخف بها الضغط ، منحرفاً في سيره إلى اليمين قليلاً في نصف الكرة الشمالي ، وإلى اليسار في نصف الكرة الجنوبي .

وهكذا تحدث الرياح . وكلما كان الفرق بين الصغتين كبيراً . ازدادت الرياح شدة وقوة . فيكون الاختلاف بين الرياح : فرنسيم غليل إلى إعصار عنيف .

ثم يعرض لنا سؤال آخر ، نحاول أن نفر منه فلانستطيع إلى الخلاص منه شيئاً . ذلك أنا ، وإن سلمنا بأن سبب الرياح انتقال الهواء من جهة ذات ضغط شديد (عال) إلى جهة ذات ضغط خفيف (منخفض) . فأننا لا بد لنا من أن نتساءل لم كل هذا الاختلاف في الضغط ؟ ألا يمكن تطبيق مبدأ المساواة المجيد ولو في الهواء ، مع العلم بأن المساواة في الظلم عدل ؟

هنالك لا بد لنا أن نقرر ، والحزن يملأ قلوبنا ، أن ليس في العلم - وباللاشف - مساواة . انظر حيثما شئت تجد التباين والاختلاف ! انظر إلى البحار تجد منها العميق الذي لا يسبر له غور ، والضحل القريب المال . والأنهار منها الضعيف القليل الماء ، ومنها المفعم السريع الجريان . ثم انظر إلى اليبس تر فيه جبلاً شاهقة قد رفعت رأسها فوق السحاب ، وفي ناحية أخرى ترى سهولاً مبسوطة وأودية وطيفة .

إذن فلابغجب إذا اختلف ضغط الهواء على وجه الأرض . وأسباب هذا الاختلاف كثيرة ، وأهمها من غير شك اختلاف حرارة الأقاليم ، فحيث الحرارة الشديدة يتمدد الهواء ويخف وزنه وضغطه ويحاول الصعود إلى أعلى ، فيندفع الهواء من جهات حرارتها أقل من حرارة تلك الأقاليم ، ليحل محل ذلك الهواء المتمدد الصاعد ، ويسد الثغرة التي أوشكت أن تحدث . وإذا كنا نحن في مصر نحس رياحاً آتية من الشمال ، ذاهبة نحو الجنوب (نحو خط الاستواء) مارة ببلادنا العزيزة فتنعشها وتبردها ، ومن أجلها أحببنا لمنازلنا أن تطل على الشمال . فإن هذه الرياح هي من ذلك النوع وهي الرياح التجارية (١) بالذات - تمر بنا وهي ذاهبة إلى الأقاليم الحارة لكي تحل محل ذلك الهواء الخفيف المتصاعد في تلك الأقاليم .

(١) سبب تسميتها بالتجارية - مع أنها لاعلاقة بالتجارة فإنها إذا ساعدت التجارة في ناحية فإنها تعترضها في الاتجاه الآخر - أنها ترجمة خاطئة للكلمة الانكليزية Trade مع أن هذه الكلمة لفظ قديم معناه مطرد . وقد أولي بنا أن نسميها الرياح المطردة لأنها منتظمة الهبوب طول العام . والفرنسيون يسمونها l'Alize وعلماء الإغريق سموها الرياح الانبوية Etesian

قال بحج الليل هي المنعشة ذات الندى التي ليست بالحارة ولا بالقارسة
وكذلك الصرادر برد منها قليلا . اما الرياح الشديدة البرودة فهي
العربية التي تهب عادة من الشمال :
وأنت على الأدنى شمال سحرية

تذاب منها مرسغ ومسيل

ثم الريح الصرصر والحرشف والالوب .
اما الرياح الحارة فمن أسمائها الحرور والسوم والسيغار وهذه
الاخيرة اشدها حرا وسعيرا .

وليست هذه الاسماء كل ماورد ذكره في كلام العرب عن الرياح ،
بل ان هنالك أسماء اخرى عديدة . وما ذكرنا الذي اوردناه ها
الا لكي يرى القارئ مبلغ دقة العربي في ملاحظة الظواهر
الطبيعية ، وليس بين كل هذه الاسماء ما هو مترادف . بل لكل
منها معناه الخاص الدقيق .

وبالطبع قد اكثر شعراء العرب من ذكر الرياح ، وبوجه
خاص اكثروا من ذكر الصبا . واهل الحجاز يدعونها صبا تجد
لأنها تهب عليهم من تلك ال ناحية .

وهي ريح لطيفة جافة ليست بالحارة ولا بالباردة . واطل الاكثر
من ذكرها في الاشعار يرجع الى عذوبة اسمها اكثر مما يرجع الى عذوبة
المسمى . اولع شعراء نجدهم لذين اكثروا من ذكرها ، اذ كانوا يقدون
الى الحجاز ليتاجروا بما لديهم من تمر وسمن ووبر ، ثم تهب الصبا شوقهم
ان اوطانهم فيصبح شاعرهم :

الا يا صبا نجد متي هجت من نجد ؟

لقد زادني مسراك وجداعلى وجد
فلاصل في الغنى ربح الصبا ان يكون صادرا عن التجدى وهو في
الحجاز ، ثم يقول الآخرون بالتقليد .

وهناك نظرية اخرى لا تقل طرافة عن هذه ، وهي ان الوفرد اذا
اقبلت على مكة . فان الفتى الحجازي قديم غانية من بنات نجد لا تلبث
ان تعود بعد الحج الى وطنها ال زبر . فيطير قلبه وراءها شعاعا . ولا يزال
بعدها تهيج ربح الصبا وتشوقه .

اما بشار بن برد فزعم أنه تستم به الجنوب ، على أنها
عادة رياح حارة شديدة الحرارة . وللناس فيما يعيشون مذهب
هو صاحي ربح الشمال اذا جرت . وأهوى لقلب أن تهب جنوب
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي تنهى وفيها من عبيدة طيب .
ويمجني في هذين البيتين مطابقتها في المعنى لبيتير قالمها بعد بشار
بالف سنة الشاعر الاسكتلندي الرقيق روبرت برنز . وهما قوله

البقية على صفحة ٢٧ .

هذا بعض السبب في اختلاف ضغط الهواء من مكان الى
مكان . وهنا لك أسباب أخرى مثل دوران الأرض وتوزيع الماء
واليابس وغير ذلك من أمور لا نريد أن نطيل شرحها خوفا من أن
ينقلب هذا الحديث الى درس من دروس الجغرافيا .

بقيت ملاحظة لا بد منها ، وهي ان المصريين وعلى الخصوص
الطبقة المثقفة منهم ، قلما يلاحظون الرياح وهبوبها واتجاهها .
فقد يختلف اتجاه الرياح في اليوم الواحد من أيام الخمسين مرتين
أو ثلاثا ، فلا تنتبه الى هذا التغير في اتجاه الريح . وأقصى ما
نلاحظ أن الهواء حار أو شديد . وانه قد انقلب فصار هادئا باردا .
وان المرء لتأخذ الدهشة حين يقارن هذه الحال بما كان
عليه العرب من دقة الملاحظة لهذه الظاهرة الطبيعية ، وكيف
استطاعوا ان يميزوا شكولها وضروبها ، فراقبوا اتجاهاتها المختلفة
وأطلقوا على كل ربح اسما يدل عليها . ثم لاحظوا ما بها من قوة
وضعف ، وجهلوا لكل اسم . وكذلك ميزوا الرطب منها والبارد
والحار وما الى ذلك .

ولئن كان العلماء اليوم يرقبون اتجاه الرياح ويقيسون
سرعتها وشدها ، ودرجة حرارتها . مستعينين بآلات دقيقة
فان العرب قد سجلوا هذا كله من غير استعانة بآلات .
فن حيث اتجاه الرياح نرى العرب قد ميزوا بين الرياح التي تهب
من الشمال والجنوب و"شرق والغرب" ، ورياح "شرق" هي التي سموها
الصبا ويقابلها من الغرب الدبور . وكانت الريح احيانا تهب
منحرفة عن الجهات الأربع الأصلية فكانت العرب يدعونها
عند ذلك بالسكاء .

ثم أرادوا أن يميزوا بين الرياح الضعيفة المربضة والقوية
العنيفة ، فاكثرها هدوما النسيم التي تهب بنفس ضعيف ، ثم
الرخاء السهلة ، ثم الحنون التي لها مثل حنين الابل ، ثم تليها الرياح
الشديدة ، فالبارح التي تهز الأشجار
وتأخذ عند المكارم هزة

كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب
ثم الهوجاء التي تجر وراءها ذبلا من التراب ، ثم الزعزع ،
ثم العاصفة ، ثم الحاصب ، وهي التي تقشر الحصان وجه الأرض
(وأرسلنا عليهم حاصبا) .

وكذلك ذكر العرب أنواعا خاصة من الرياح ، فالزوبعة هي
التي تدور في الأرض دون ان تقصد وجهها واحدا . والاعصار ربح
تدور بقوة وتنعكس من الارض الى السماء . وهكذا نجد في العربية
كثيرا من الدقة في التمييز بين الرياح القوية والضعيفة .
أما ملاحظتهم للرياح الحارة والباردة فلا تقل عن هذا دقة .

القصص

قصة مصرية

سفروت الحاوي

— ٢ —

ووقف الجمع برهة ينتظر رجوع الرجال الذين بعثهم صاحب الفندق وعلوا أنهم بحثوا عن بولص خارج الفندق ودخله من غير جدوى . فاتفجرت المرأة ثانية بالصياح والتهديد — انا بقولك لب واغطس بجوزى دلوقت أهه لحسن اوديك فى داهية .

— ياستى يعنى انا حاخذه أعمل به ايه ، ياريت كنت عارف طريقه وأنا اكنت والله اجيبه لك .

— امال راح فىن الراجل ؟

— والله ياستى انا على علمك .

— لا . ابدا . أنت عارف طريقه ! أنت سحرت بالجن الاحمر

والاخضر بتوعك

— جن اخضر بتوعى ١٩ ، هوانت صدقت انى اعرف جن وسحر ؟ يا-تى أنا راجل على باب الله . وده كلام بس علشان أكل العيش ، تعالى وانا أوريك الصندوق علشان تصدق .

— أصدق ؟ انا ما عرفشى أمور الجوى دى ، أنا حاوديك فى داهيه . انت خنقت الرجل علشان تاخذ فلوسه ؟

وولوات المرأة وأمسكت بمخاق الرجل بأصابعها (ماشة النجار) فالتف الناس حولها وأخذوها الى نقطة البوليس

ولما لم تسكن على سفروت مسئولية جنسية فقد أطلق سراحه بعد يوم فترك رأس البر تتحدث عن هذا الحادث المدهش وسافر الى غيرها من المصايف .

مر على ذلك الحادث عامان نسي فيهما الحاوي بولص وامرأة بولص الا فى فترات كانت تعاوده الذكرى ، فكان يتعجب للامر فى نفسه ويود لو عرف ما انتهى اليه امرهما حتى اذا كان ذات مساء وهو

يدخل باب ملهى من ملاهى العاصمة كان وقتئذ يشغل به لمح بائع سميد جالسا يعد قروش على الافريز وتبين فيه صاحبنا بولص فلما أيقن من صواب زعمه دنا من بائع السميد هامسا : — أنت بولص بتاع واقعة رأس البر ؟

فانتصب البائع واقفا فى رجفة تنائر معها بعض سميده ونقوده وحاول أن يهرب ، ولكن سفروت أوقفه وأعاد عليه السؤال فانكر واشتد فى الانكار ، وقال ان اسمه محمود ، وأنه لا يعرف ما رأس البر ولا من هو سفروت ، ورأى الحاوي ان حديثهما وهياج محدثه قد يجمعان عليها المارة ، فاخذ البائع الى حارة باب المسرح الخلفى وهذا خاطره وأكد انه لا يضم له كرها ولا ينوي شرا ، وان كل مابه انما هى رغبة شديدة فى أن يعرف السبب الذى حدا به الى فعلته الشاذة .

وبعد لآى اعترف البائع بانه هو بولص ورضى ان يدخل مع الحاوي الى غرفته الخاصة بالملهى حيث حدثه بخبيثة أمره . قال سفروت فيما تحدث به لبولص :

— طيب يعنى مالفتش الا صندوقى تحتفى منه ! ما كنت تسيبها وتمشى من غير شوشرة وفضيحة ؟

قال بولص :

— ما جدرتش ابدا يا أخى ، فكرة الهروب منها دى ماجتش فى دماغى الا فى رأس البر ، يظهر انها زى اللى خمنت باللى فى نيتي فكانت دائما فى رجليه ما تسببش ١٠ دجايج لما طهجتى وجطعتنى الششم . تعرف بعد ما نزلت بالصندوق وبعته لك فاضى ! انا طرت على الفلوكه اللى كانت تستناني فوج عند الطاوية اخذتها ورحت على دمياط ومن دمياط بييجور الفجر على مصر

— يعنى كنت بتكرها للدرجة دى ؟

— اكرها ؟ ! انت متعرفشى جد ليه يمكن الواحد يكره مراته ياسبى سفروت ، يكرها ويكفر منها وينجن كمان . يا أخى ، أجول لها يا حنينه انا فى عرضك طلجنى : ابوس مركوبك يا حنينه تسيبىنى . اعطيك ٥٠٠ جنيه . اعطيك الف جنيه . مفيش فايدة ، يمكن انت ما تصدجشنى ياسبى سفروت

مبلغش البوليس .

ولم ير الحاروي بدا من القسم بالطلاق ثلاثا انه لم يفعل شيئا من هذا فهدأ بولص واعتذر ثم شرح ما حدث له قال .

— لما روجت امبارح جالت لي الولية جارتى ام شحاته ، أن واحدشاويش جه يسأل عني في النهار مرتين . اول مرة جه لوحده وأم شحاته جالت له ان مفيش سا كن اسمه بولص هنا . بعدن راح ورجع في المغرب ، ومعاها حرمة طويلة ووجفوا يتحروا في الحقة . ام شحاته جالت ان السا كن اسمه محمود بتاع السميط ، جامت الحرمة سالت عن وصفتي ، وام أحمد أعطتها وصفتي ، حنيئة جالت أهر هو دا بولص . تصدج ياسى سفروت والله ماجد رتش ابات في الأودة رحت اتلججت في الجامع اللى جنبنا لحد الصبح . أعمل ايه ياسى سفروت ؟ أهرب من حنيئة فين ؟ المره دي مش ناوية تسينى الا ميت . وأنت بهية تذكر سفروت بعمله فودع هذا بولص وذهب الى

لكن انا كنت راجل غنى . انا كنت بناجر في حسبة ٢٠٠٠ جنيهه وكان عندي بيت كويس و ١٠ فدادين طين ملح ، وده كاه سبته لها . اعمل ايه ! مفيش طلاج عندنا ياسى سفروت ، زى ما عندكم . هجيت وبعث سودانى ، وجصب ، وسميط واستحملت اجلام الشاويش وشخعله وعشت في أوده بريال في بولاج كل ده عشن اهرب من وشها . جيت أغير ديني واجه مسلم مطجنش ماهانش عليه ديني ياسى سفروت . دين الواحد زى ولده . ولاحظ سفروت أن توتر أعصاب محدثه لغ أشده ولا حظدا . قرمزيا يترقق في وجه الرجل الذى صبغته الشمس والقذارة بلون غرين النيل لحارل ان يهدئه ويواسيه ولكن بولص اندفع يقول : — دى رمت لي وجع الجلب والله ياسى سفروت . انا كل ما افكر المره دى جلبي زى اللى يُجسّف . لا لأدهي من كده انها لسه بتعش عني ! الانكس من كده انها لا عاوزة فلوس ولا طين ، عاوزاني انا بس

— ممكن بتحك يا بولص .

— بتجننى ! لا لا . دامش عبارة حب دا جنون . دى تسكرهني زى العمى ياسى سفروت وانتهى حديث الرجلين بعد وقت ، فخرج بولص يبيع سميذه وذهب سفروت الى مسرحه وهو يعجب لامر الرجل .

وبعد بضمة أيام بينما سفروت يعد عدته للظهور على المسرح ، اذ دخل عليه بولص وبعينيه بريق الجنون الذى يكون به في ساعات هياجه ، فلما رحب به الحاروي اظهر القبطى خشونة وجفاء كما هو يضمر عداوه وشرا فسكت سفروت وقتا حتى تحدث بولص — انت فنتت على ؟

— فنتت ايه ١٩

— ايوه انت فنتت على . انت اللى بلغت عني

للبوليس .

— ازاي افنت عليك يا معلم ١٩ هو انا لى صالح في كده ؟ وحتى لو كان هو انا راجل خسيس للدرجة دى ؟ عيب ده يا معلم بولص متكلمشى كلام زى ده . وقام بولص بعنف فاق مسك بنلايب ، الحاروي الذى ملكه الخوف ولدهشة وصاح به قائلا .

— انت مجرر ؟ احلف لي بالطلاق انك

البس

وافتح

بأنك

ترتدى أقفصه

صنع مصر

تنتجها

ملك

شركة مصر لخرافة نسيج القطن

بالمحلة الكبرى

دبولانه . بفته . بانسا . زفير

نيل مرايل . بولبييه . بديل كسانه . قطه طيبى

شركة لوتس

الى بر جندلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

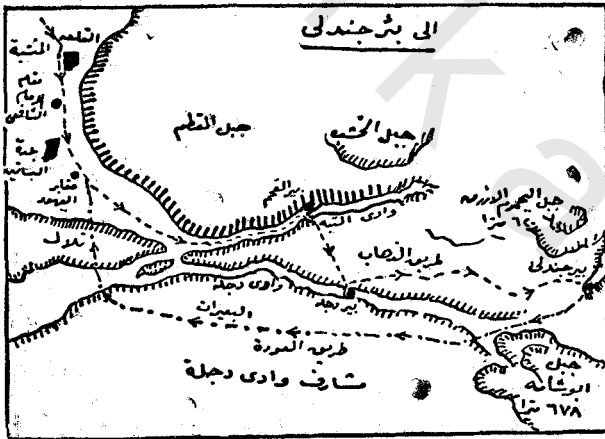
— ١ —

في شتاء سنة ١٩٠٨ ، وقيل أجازة عيد الاضحى ، دعاني خالي ابيه وابندني قاتلا وفي فمه ابتسامة :

— هيا معنا الى بير جندلي . غدا مساء سنغادر القاهرة .

— بير جندلي ؟ ما هذا ؟

— رحلة صيد في جبل المقطم تستغرق خمسة ايام ، وسنكون مع اصدقائنا عائلة رشيد ، وقد أعدنا لها العدة .



كانت مفاجأة ، وأترك للقارىء أن يتصور وقع هذه المفاجأة في نفس شاب لم يبلغ الثامنة عشرة ، لا يعرف عن جبل المقطم إلا القليل مما القطة في صفولته من أفواه العجائز في أحاديثهم عن العفاريث والوحوش ، أو عرفه من القراءة في كتب وصيغة تصور لك المقطم قفاراً وهاويز لا نبات فيه ولا ماء ، وأنه مسكن المردة والجان ومأوي جبابرة اللصوص وقصاع الطرق ومرتع الوحوش الضارية من نوع السباع والاسود التي يرسمها نقاشا البلدى علي واجهات منازل الحجاج العائدين من الحجاز .

كان قد أزف الوقت فانصرفت أعد نفسي للرحلة على عجل ، وأذكر الآن وقد مضى على الحادث ما يزيد على خمسة وعشرين عاماً ، أنني صرفت شطراً كبيراً من الليل في تصفح ما كان عندي من الخرائط ، متفرساً في أسماء الجبال والسهول والأودية ، باحثاً بينها عن بر جندلي ، ولكني لم أظفر بطائل ، وأذكر كذلك أنني لم أنم في تلك الليلة إلا غراراً ، فقد كنت مشرد العقل مهموماً

المسرح . وقيل نهاية الحفلة ذهبت بهمة الي غرفتها لتغير ثوبها استعداداً للدور الاخير ، وتركت الحاوي يشرح للظاهرة أمر الصندوق ويعد له عدته ، وتأخرت بهمة فينبأ هو يفكر فيما يفعل اذ أقبل بولص عليه من جانب المسرح بوجه أدكن وعينين بارقتين شاردين بما ذكر الحاوي بوجه الرل في اللالة المقمرة . تقدم بولص وبه من الرجفة والذعر ما شغل الحاوي عن حرفته . وانساء صيته وموقفه والظاهرة الذين خفت اصواتهم وأشرأبت أعناقهم في انتظار ما يكون ، وهمس بكلمات متقطعة كحديث المحتضر قال :

— خبينى ... أنا في عرضك خبينى ... مراتي بره ومعاها شاويش ... حظي في الصندوق ، حظي في الصندوق !!!
ودخل القبطي الى الصندوق بغير انتظار وأقبل عليه بابه وقد ملك الدهش على سفروت أمره حتى فقد القول والفعل ، ثم رجع الى نفسه بعد برهة ليتبينها امام حقيقة واقعة . وليدرك ان لا يخرج له سوى ان يخفي الرجل داخل الصندوق .

وقال سفروت في نفسه : لو فلت القبطي فقد اسديت له يدا ولو لحقه البوليس فما على من ذلك لوم ولا تبعة ، وليس هو بالجرم ولا انا بالخارق للقانون ، وكل ما على الآن هو ان اسرع في عملي واعطيه الفرصة ليهرب ، ويقتني انه ان يرجع الى الصندوق فاذا دعوت بهمة بعد ذلك فسوف تقوم بحيلنا كلعادة واما اذا أخرجه لأن من الصندوق بالقوة فسوف يكون من ذلك هياج الناس وتعكير صفو لمحفل ومسؤوليتي امام المدير ولم يتردد سفروت بل ربط الصندوق . وقف عليه وتحدث الى النظارة المذبلين عن جنه وهو وليته الخلع ، حتى اذا انتهى من الديباجة نزل . رفع الغطاء وهو موقن ان بولص قد خرج من الصندوق الى تحت المسرح ثم الى ماشاء له قدره

ولكن بولص لم يخرج من الصندوق ولم يتحرك ؟؟
روح بولص فظط هي التي بارحت الصندوق الى بارثها ، اما جثته فقد بقيت لثقلها حينئذ !!

قال احد السامعين : عرضك بولص مات في الصندوق ؟؟
فاجاب الراوى : نعم نعم ، في رواية انه مات بالسكتة القلبية وفي رواية اخرى انه مات منتحراً بطعنة سكين في جنبه الايمن ، وان سفروت رأى دمه يسيل الى المسرح ، ولكن مهما اختلفت الروايات فمن الثابت ان زوجة القبطي وجدت جثته هامدة لما ارتقت المسرح مع ضابط البوليس

وقال سامع ثان : طيب وجرى ايه لسفروت ؟
فاجاب الراوى : حدثني صديق احمد عن صديقه محمد ان الحاوي طبق حرفته بعد هذه الحادثة وانه يشغل الآن ترجمانا في بلدته بور سعيد ولكن الله اعلم بحقيقة الامر وسأل سامع ثالث : ما اهتموش سفروت بقتل الرجل ؟
فتجاهل الراوى هذا السؤال لغباوة سائله . م . م . م

قلعةً تتوارد على ذاكرتي حكايات الوحوش وقطاع الطرق وقصص الأهوال التي لا قاما رواد الجبال ، من عطش ، وجوع ، ومخاطر ، فينقبض لها صدرى وتثور هواجسى ، ولولا ارادة قوية ، وإيمان ثابت ، لنقاب الضعف على نفسى ، ولأحجمت عن مصاحبة الجماعة .

بعد الغروب فى اليوم الثاني افلنا عربة الى منزل عائلة رشيد بشارع الدرب الأحمر بالقرب من الحجر على بعد عشر دقائق من القلعة — منزل عتيق من طابقين له باب كبير ثقيل ومن خلفه دهليز يؤدي إلى فناء رحب تحيط به الحجر والمرافق وتطل عليه النوافذ والشرفات — فى هذا الفناء شاهدت جملين مناخين حولهما حركة غنيفة صامتة ، فقد كان القوم منهمكين فى إعداد لوازم الرحلة — فهذا يملأ قرب الماء حتى إذا ملاها تعهد متانتها ثم أحكم ربطها إلى جانبي البعير ، وذاك يحزم الملابس والأغطية ثم يضمها على ظهره ، وثالث يرتب علب الماء كولات داخل صندوقين من الخشب ثم يشدهما بوثاق إلى ظهر البعير الثاني وهكذا — بعد أن تبادلنا التحية دخلنا حجرة واسعة قد جلس فى صدرها رجل وسيم المحيا مليء الجسم طويل القامة كبير الشوارب وقد وخط الشيب شعره ، فاستقبلنا واقفاً رجباً ثم قدمنى إليه خالى قائلاً — عمك عبد الله بك كبير الأسرة

— فلتمت يده على ما كان متبعاً فى ذلك الوقت فضمنى إلى صدره وقبلني فى جيني وقال وهو يلاطفني : انك الآن يا ولدى تجيب داعى التقاليد فى أسرتك !

بعد قليل هدأت الحركة فى الفناء ، ثم نهضت الجمال وخطت نحو الباب وقد أمسك بزمام الجمل الأول شيخ يناهز الستين فى لباس بدوى قد ارتسمت على وجهه جميع أمارات الثقة بالفس والتوكل على الله ، وكان يقود الجمل الثاني شاب بدوى كذلك بمشوق القامة نحيل الجسم قد علق على ظهره بندقيته وتدل من صدره حزام للخرطوش

ولما مرت الجمال أمام اللفظة اطل عليها عبد الله بك وقال بصوت هادى رزين :

— على بركة الله يا شيخ سويلم

فاجاب الشيخ بصوت متهدج فيه غنة وبحة — بارك الله فيكم يا بك — أين الانتظار ؟

— علي بير الفحم يا بك

خرجت الجمال إلى الشارع وقد اتصفت الساعة التاسعة

وبخروجها شمل المنزل سكون عمق ، ثم اتجه عبد الله بك نحو المضد فى جانب الحجرة قد ثبتت فيه آلة لحشو الخرطوش فآخذ يديرها بمهارة وخفة ، وبعد أن قضى فى ذلك نحو نصف ساعة تناول من علاقة قريبة مناطق الخرطوش وملاً به عيونها ثم خرج

وبعد قليل عاد يتبعه اخوته الأربعة وهم جميعاً فى حلة لصيد من سترة مقفلة وسروال قصير وقد ذلوا حول الساق والفلاشير ، ووضعوا فوق الرأس قببات كبيرة على نحو ما يلبسه المهندسون زمن الصيف ، فجلسنا نتجاذب أطراف الحديث . وفى نحو الساعة التاسعة والنصف دق الباب فصاحوا جميعاً ها قد أقبل الشيخ محمد — ثم دخل رجل فى لباس بدوى فاستقبلوه باحتفاء وترحاب ، وبعد أن استوى فى مجلسه سأل عن الجمال فقبل له أنها بارحت المكان منذ ساعة ثم نظر إلى وقال من هذا الصغير ؟ فقبل له ابن اخت احمد بك ، فال نحوى وقال بلهجة عذبة هل تصاحبنا يا اخي ؟ فقلت نعم . فقل هكذا يكون الشباب يا سادة ! — كان الرجل يكلمنى وأنا مأخوذ فلم ارفيه الا وجهاً صغيراً يحيط به لحية خفيفة ، وجسمًا نحيلًا وقامة قصيرة

وفى تمام الساعة العاشرة وقف الشيخ محمد وتناول بندقيته وثبتها على ظهره وفعل مثله الآخرون ثم قال هيا بنا يا سادة . توكلنا على الله! نخفق قلبى خفقاً أشد بدأ ثم تقدمنا وسرنا خلفه فى صفوف . ولها بقية ،

الرياح

(بقية المنشور على صفحة ٣٣)

Of all the airts the wind can blow
I dearly I ke the west
For there the bonnie lassie lives
The lassie I love best.

وتعريب البيتتين

من بين الرياح التى تهب من مختلف الجهات
أحب حبا شديداً رياح الغرب
لأن هناك تعيش الغادة الحسنة
الغادة التى أحبها أكثر من كل شىء

وهذا من أبداع الأمثلة التى يمكن ان تذكر فى توارد الخواطر .
ولابد أن نختم الآن هذا المقال لأن حديث الشعراء كحديث
العفاريث اذا فتحته فن الصعب ان تسده .

محمد عوض

ثورة الأدب من هيكل الى طه

اخى طه

لم تخلفنى موعدك عند ظهور كتابى (ثورة الادب) فقد عودتني اخوتك الصادقة وصادقتك الخالصة كلما ظهر لى كتاب ان تتناوله بالبحث وأن تتناولنى بالثناء . بل عودتني هذه الاخيرة أن تتناول بعض فصول كتبتي بالبحث فيها وبالثناء علي من أجلها . وتحت نظرى الآن ثلاث فصول من قلبك العذب أحدها عن كتابي ، فى أوقات الف اغ ، ، والآخر رد علي نقدي كتابك فى ، الأدب الجادلي ، ، والاخير عن الفصل الذي كتبت عن النثر والشعر والذي احتواه كتابي الجديد . وفي كل واحد من هذه الفصول كما فى غيرها من فصول ، نشرت السياسة ونشرت الاهرام من قبل هذا الثناء ، وهذا البحث الذى يسعنى بمالك من أثر فى مجهودى واتاجي بملك صاحب فضل فيه كبير . ولست أخفيك أنى مدين فى حياتي ككتاب لأشخاص كثيرين شجعونى وآزودني وعاونونى بوجيهم وبمقدمهم وبحسن توجيههم ليأى ، وأنى ما أزال بحاجة الى هذه المؤازرة والى هذا الوحى إن كان قد قدر لى أن أتيج فى الكتابة شيئاً جديداً ، ولعلى أستطيع يوماً أن أفى لأصحاب الفضل مؤلاً ، بفصل على الأقل اكتبه ، فما أستطيع اليوم أن أحصيهم وهم كثيرون . لكنك كنت وما تزال يا صديقي فى مقدمتهم كنت وما تزال كذلك حين ألقاك وأتحدث اليك ، وحين أقرؤك وأستمع بجمال ما تكتب ، وعظيم لذته ودسم غذائه ، وحين أفكر فيك وفيما أثرت فى الادب وفى تاريخ الادب العربى من ثائرات لما تهدأ . والحق أنه اذا كانت ثورة الادب مدينة فى هذا العهد الاخير لعدد غير قليل من الكتاب والادباء ، فهي مدينة لك باعنف ما فيها ، مدينة لك بأشد ما فيها طرافة . وبحسبى أن أذكر ذلك لتعلم كم يفكر فيك من فكر وما يزال يفكر فى

ثورة الأدب ، ومن يعتقد بل من يلبس هذه الثورة ويرى أنها مازال لما تهدأ ، وانها مازال تحطم وتهدم وتحاول أن تبني كما حطمت الثورة الفرنسية النظم والطبقات . ولست أحاول الرجم بما عسى أن تتمخض عنه هذه الثورة حين يستقر الأمر الى التوليد الهادى . المطمئن ، ولعل صديقنا المازنى أقدر منى على هذا الرجم .

ولست أخفيك كذلك ان فصلك عن (ثورة الادب) أثار منى ابتسامات دهشة وخجل متصاين من أوله الى آخره فقد رأيتك تصورني فيه صورة لا أعرفها لنفسى ، صورة جن لا ينقطع انتاجه وأب لا ييخل على أسرته بحقها عليه ، وصديق لا يرضن على أصدقائه بحقوقهم عليه . فاست أعرف لنفسى من هذا كله شيئاً . إنما انا مقصر فى حقوق أصدقائى ، أكثر من مقصر فى حق اسرتى . ثم ماذا ترانى يا صديقي انتجت ؟ ذلك من فصول يومية تكتب فى الصحف فانت اعرف الناس بتفاهة ما ينفق من مجهود فى هذه المصوول . ودعك من العمل فى حزب سياسى فانت ادرى بالسياسة المصرية : ما هى وما مبالغ الجد فيها . دعك من هذين وانظر واياى فيما انتجت . إنه لاشئ ، او لا يكاد يكون شيئاً . فانا رجل بينى وبين الخامسة والاربعين شهر ، وهذا انا لاخيل عندك تهديها ولا مال . فليسعد النطق ان لم تسعد الحال أم تحسب هذه الكتب القليلة مجهود جنى ؟ ان يكن ذلك فهو جنى بليد ، يطوف فى الآفاق ثم يرضى من الغنيمة بالاياب ، أو هو كما ذكرت جنى هادى . مطمئن أفاق منذ حين قصير من نوم مريح . ولالى لاأسف اذ أصف بنفسى فى ذلك على حقيقتها . وكل رجائى أن أصل من الحياة الى حظ هادى . مطمئن يكفينى بعده أن أفى لأصدقائى بحقوقهم ولأسرتى بحقها ، وألا اكون هذا الرجل المقصر الذى يذمر الناس تقصيره ويتوهونه لكثرة عمله ، وما هى كثرة العمل وانما هو تقصير من جعله الحظ مقصراً . وتذكر يا صديقي انك دهشت حين رأيتنى أعلنت عن (ثورة الادب) اعلانا أمريكيا وأنى سارعت فى اهدائى وكنت تعرفنى أشد الناس فتورا فى الاعلان والاهداء ، وتتساءل ان كان الله قد رزقني غفريتا فى الاعلان ، وتكرر انك مازال دهشا لانك لم

تفهم بعد مصدر هذه السرعة في الاهداء والاعلان. واني لجد حريص على ان تزول دهشتك. فلا ذلك على هذا العفريت لذي رزقني الله في الاعلان والاهداء. هو النظام الجديد للمطبوعات والصحف. فقد تعلم ان هذا النظام يقتضى إجراءات، منها تقديم عدد من النسخ الى ادارة المطبوعات ومنها ان اية هيئة عليية أو أدبية أو دينية أو ما أدرى ماذا تستطيع أن توحى الى الحكومة فتصادر الكتاب الذي يطبع، وقد تصدر المطبعة التي طبع الكتاب فيها. ولملك لم تنس قصة كتاب الخطيب البغدادي في السنة الماضية وحسن بلانك في الافراج عنه. وقد ابتلينا نحن من قبل بشيء من هذا، حين طبعت وصاحبي المازني وعنان كتاب (السياسة المصرية والانقلاب الدستوري) فقد قدمنا منه خمس نسخ لادارة المطبوعات وأخذنا بها ايصالا وأردت بنفسى أخذ خمسمائة نسخة من الكتاب فاذا البوليس يحيطني ويقتادني وكتب الى قسم عابدين، واذا به يامر الا ينشر الكتاب، واذا بي أضطر الى الالتجاء للائب العام والى انتظار أسبوع أو نحوه حتى يفرج عن الكتاب. أفليس من حقى وذلك ما رأيت ان أحتاط لنفسى حتى لا يقودنى البوليس والجند مرة أخرى الى القسم. فاني لأؤكذلك يا صديقي طه ان مثل هذا الموقف ليس مما تستريح له نفسى ولا نفس أى رجل مثقف. ولتلاحظ يا صديقي أن عنوان كتابي (ثورة الأدب) .. واذا كنت مهما أثرا لا أخيفك، او كانت الثورة لا تخيفك مهما تكن، فيخيل الى ان غيرك يخاف حين أثور وان لم أر نفسى يوما فى حاجة الى أن أثور، ويخيل الى أن غيرك يخاف من كلمة الثورة كما كان الاتراك فى العهد الحميدى يخافون كلمة الثورة وكلمة الحرية ولا ياذنون بنشرها. أو نشر ما يمانها. فلكى أنقى البوليس والجند والذهاب الى القسم أعلنت الكتاب للناس وسارعت الى اهدائه أصدقائي حتى اذا صودر قبل نشره أو أصابته مصيبة من مصائب هذا العهد أكون قد تعزيت بما أهديت من بعض نسخه، وبأنى أعلنته للناس فخل بى وبه ما حل من ظلم وهضم. هذا هو العفريت الذى لم تعرف يا صديقي مصدره. ولعلى إذ دلتك عليه وذكرت لك ما أصاب كتابي (السياسة المصرية والانقلاب الدستوري) عذيرى عن خروجى على ما طبعت عليه من فتور فى الاعلان والاهداء يعادل فتورى فى حق أصدقائي وفي حق أسرتي. فان رأيتى مع ذلك بالغت فى الاحتياط فظهرت فى غير ما كان يلىق بى أن أظهر فليس لى إلا أن اعتذر اليك وأن أعدك أنى لى أعود اليها هذا عن شخصى. وما أدرى يا صديقي ما عسأى أقول لك فيما كتبت عن (ثورة الأدب) لقد أثار دهشتى وأثار خجلي فما

كنت أحسبه ينال منك كل هذا التقدير، ولا كنت أحسبه جديراً به. وما عسأى أقول فى تقديرك الكتاب بأنه تاريخ صحيح دقيق للادب العربى المصرى فى هذه الأعوام الأخيرة من جهة وهو فلسفة أدبية رفيعة موضوعها ادبنا الحديث من جهة أخرى، وإله كتاب تمضى فيه فيخيل اليك أنك تمضى فى كلام مألوف ولكنك لا تتكاد تفكر قليلاً فيما تقرأ، او لا تتكاد تلح فى القراءة حتى يفتح لك هذا الكتاب أبواباً وبسطاً مأمك آفاقاً ما كنت تعرفها وتفكر فيها من قبل. واذا كل شيء جديد. واذا كل شيء طريف. وإذا الكتاب يحددك ويمكر بك وان لم يرد خداعاً ولا مكرًا، وان المؤلف، هو المؤرخ العربى للأدب العصرى الحديث، وانه قد فرض بذلك نفسه، لا أقول على هذا الجيل وحده، بل أقول على الاجيال المقبلة ايضا... وان كتابه هذا سيصبح من المصادر القيمة للذين يريدون ان يدرسوا ادبنا المصرى فى نهضته هذه الحاضرة (ما عسأى يا صديقي أقول فى هذا كله. أقول انه كثير. وانه أثار دهشتى وخجلي. واحسب صدق مودتك واخلاص اخوتك كان لهما اثر غير قليل فى املاء هذه العبارات ومثلها عليك، كما كان لهما اثر غير قليل فيما كتبت عن شخصى :

ولملك أنت شعرت بهذا، وخشيت من أن يتهمك الناس بالاسراف فى الثناء على صديقك اسرافاً يصرفهم عن حسن الاستماع له فأردت أن تحصى عليه وعلى كتابه بعض هنات تجعلهم أدنى إلى الايمان بعدالة ثنائك. وأنت على حق فيما أحصيت من بعض الهنات وإن كنت قد أسرفت فى بعضها. فقد ذكرت أن هيكلاً: «من أصحاب المعاني بين الكتاب وأنه همل لغته اهما لا شديداً وتورط فى ألوان من الخطأ واضطراب الأسلوب، يدينه أحياناً من الابتذال. والغريب أنه لا يضيق بذلك ولا يبعد به بأساً ولا يمتزف بأنه يسيء إلى نفسه وإلى أدبه معاً. والحق يا صديقي أنتى لا أضيق بشيء ولا أجده به بأساً. لكنى أستأذك فى أن أوجه اليك شيئاً من اللوم غير قليل. فنحن حقاً مختلفان فى أمر اللغة والأسلوب خلافاً سائلاً عليك سببه. لكنى لم أعرف قط منك أن لغتى وأسلوبى يديانى من الابتذال. بل عرفت منك غير هذا. ولعلى لا أخطئ. إذا وضعت تحت نظرك بعض عبارات كتبها أنت فى هذا الشأن. فقد ذكرت حين كتبت فى السياسة الاسبوعية فى ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ عن كتابى (فى اوقات الفراغ) . . . كذلك كنت منذ عشرين سنة أو نحو ذلك حين كنت تكتب فى الجريدة، وكذلك أنت الآن. وإن يكن قد جد شيء فهو أنك ازددت فيما أنت فيه من القوة ثباتاً ورسوخ قدم، وانك استطعت

أن تملك اللغة العربية وتسخرها لأغراضك ، وقد كانت تستعصى عليك وتنتهي بك أحياناً إلى ما يكره سيدي والخليل ، وصديقك طه حسين . وأنت تذكر ما كان بيني وبينك من جدال متصل في هذا الموضوع . فقد كنت أتهمك بقلة البضاعة في اللغة العربية وكنت تجيبني بأنني أزهرى . وكان أستاذنا لطفي السيد يسخر منك ومنى في رفق وحان . وقد مضت أيام وأعوام وما زلت أنا أزهرى كما كنت ، أما أنت فقد أتقنت اللغة العربية اتقاناً ورضتها حتى ذلت لك . فأنت تستطيع أن تقول أنني أزهرى وأنا لا أستطيع أن أتهمك بالضعف في اللغة العربية . ولكن لكل شيء حداً . فما رأيك في أنك أتقنت اللغة العربية ، حتى لقد تسرف في هذا الاتقان وتصطنع من الألفاظ والأساليب ما يصح أن تعاب به لأنه أدنى إلى التفرع منه إلى شيء آخر . صدقتي فأنت أزهرى في بعض الأحيان . وكمل عليك من فضل أيها الصديق العاق . ما زلت أعيب لغتك حتى أصبحت شيخاً قحاً ، ... وقد ذكرت حين كتبت عن فصل الشعر والبشر في السياسة الأسبوعية بتاريخ ٩ أغسطس سنة ١٩٢٧ : « أنت لا تكتب إلا اضطرت قراءك إلى الشا والاعجاب ، وانت لا تسمع ثناء ولا تحس إعجاباً إلا ازدادت إجابة وأمعنت في الاتقان . ولست أدري إلى أين يذهب بك هذا الامعان في إجابة البحث واتقان التفكير والتوفيق إلى الجمال الفني فيما تكتب . الخ ، لم أخطئ اذ وضعت تحت نظرك هذه العبارات وما قد تذكر من مثلاً لا وجه إليك شيئاً من اللوم غير قليل . فإلك يا صديقي وكلنا نعرف دقة ذوقك الأدبي ، لم توجه نظري منذ تلك السنوات الطويلة إلى ما اتورط فيه من خطأ واضطراب في الأسلوب يدنين أحياناً من الابتذال . لقد كان لي أثناءها متسع من الوقت لا وجه شيئاً من الجهد اسلم به من هذا الذي لم تنتهي إليه إلا اليوم . أما ولم تفعل فعلي لا أغلو يا صديقي اذا أتهمتك بأنك خدعتني كل هذه السنين وعبثت بي كل هذا العبث ، وتركتني حتى تقدمت بي السن إلى حيث لا يستطيع الإنسان إصلاح ما أفسد الدهر .

أم أن الأمر ليس كذلك يا صديقي وأنت قد ازداد ذوقك الفني دقة زادت نقدك اللغة والأساليب بأساً وشدة ، فأخرجني ذلك من حظيرة رفقك وتسامحك . إن يكن ذلك فأنت جدير من أجله بكل ثناء ، جدير بكل تقدير على ما حيأك الله بما كنت أود لو جاد على ببعض منه .

ان يكن ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله . والله وانا اليه راجعون . فاما ان لم يكنه فلو لم شديد اباك وعتبي عليك يقضى به عليك وفاؤك لصديقك ان تراجع كتبه كلها ما ظهر منها وما قد يظهر وان تزيل منها ما قد يكون فيها من اضطراب وخطأ فان لم تفعل وجهت اليك اليوم ما وجهت أنت الى في سنة ١٩٢٦ من تهمة عقوق الصداقة وعدم الوفاء بما لها من حق .

أحسبك ستبسم حين تقرأ هذه العبارة لأنك تعلم اني لا أضيق بأسلوبي ، ولا أجد به بأساً . ولعلك يا صديقي على حق . بل انك لعل على حق . فليكن اسلوبي ما يكون فلن ارضى به بدلاً : فاسلوب الكاتب هو الكاتب . ولن ارضى لنفسى ان أكون الا انا . انا بما في من حسن وقبيح . من خير وشر . من عرف ونكر . والحمد لله الذي جعلني كما انا ، ولم يجعلني شرا ما انا . والحمد لله الذي جعل كثيرين ممن تناولوا كتابي هذا وغيره من كتبتي يعجبهم اسلوبي اكثر مما اعجبك يا صديقي .

ومالي أضيق بأسلوبي ولم اتخذ الادب يوماً صناعة ولا انا توفرت على دراسة الادب . انما انا رجل درس القانون ودرس الاقتصاد والسياسة ومال الى قراءه الفلسفة والادب لا الي دراستها دراسة انقطاع وتمحيص ، وطبيعي ان يكون اسلوبي اسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون ان تؤدي المعاني بالفاظ لا تزيد عليها ولا تضيق بها ، والذين لا يعينهم لذلك بهرجة اللفظ للفظ ، وقد زادني حرصاً على هذا الأسلوب اني رايت مثله موضع الاطراء من طائفة من كبار الكتاب والفلاسفة . وانت لا ريب يا صديقي قد قدرت نقد دتين ، لفلسفة كوزن في احد الاجزاء الثلاثة من كتابه (رسائل في النقد والتاريخ) ورايت كيف جعل من اشد ما آخذه به انه يطيل من حيث لا تقتضي الفكرة الاطالة ، وكيف جعل ينقل الصفحة الكاملة من كوزن فيضع فكرتها في سطرين او ثلاثة اسطر . هذا الادب الذي أقر أينحو اليوم نحو هذا الأسلوب . فبعد ان كانت روايات روسو تقع في خمسمائة صفحة او اكثر نزعنا القصص شيئاً فشيئاً بأسلوبها الى الايجاز . لا في وقائعها ، ولكن في بهرجة الالفاظ التي تقص بها تلك الوقائع ، ولعل ميل العالم الحاضر الى السرعة في كل شيء هو الذي عني على الاطالة ، فل الاستماع الي الأشخاص الذين يعجبون بالاستماع الى كلامهم حين يتكلمون فيطيلون القول لتطول لهم لذة هذا الاستماع ، ومثل قراءة الأشخاص الذين يعجبون بالفاظهم حين يكتبون فيطيلون رسائلهم وكتبهم ، لعل هذا الميل الى السرعة هو الذي مال حتى بالادب الى اسلوب

القانون، وهو الذي جعل الذين درسوا القانون في فرنسا وفي مصر وفي كل أمة من الأمم يجددون في الأساليب كما يجدد فيها الذين توفروا على دراسة الأدب، أو أكثر مما يجدد فيها هؤلاء في بعض الأحيان، والفن الحديث هو الآخر ينحو هذا النحو، فالبسطة والقوة هما اليوم أساسه، ويخيل إلى أن أسلوب هذا الفن وأسلوب الأدب وأسلوب القانون قد اتفقت اليوم وقد نفت الزخرف للزخرف، وأصرت على أن يكون اللباب هو الأساس في أساليبها جميعاً. اللباب الذي يعطي القطعة الفنية طابعها والذي يقيم نظريات القانون ويحقق رسالة الأدب، اللباب الذي يقف من هذه جميعاً كالبيت المشيد من غير حاجة إلى ما تعودته القرون الماضية من زخرف عصور الرومانتسم ومن زخرف الكلاسيك أنفسهم. ولعلك توافقني يا صديقي على هذا ولا ترى رايًا غيره، وإن كان الخلاف بيننا على اللغة وعلى الأسلوب قديماً. فقد درجت أنت من ازهرتك التي اشرت إليها إلى أسلوبك الجديد، وجاهدت أنا ما استطعت الجهاد حتى وصلت إلى ما أنا اليوم لكنني أعترف يا صديقي بأنك على حق حين أخذتني بأنتي أسرع فيفوتني لذلك التحقق من بعض الشؤون، وإنك وقعت على هنة ما كان يجوز لي أن أقع فيها حين أردت أن أذكر الأوديسا فذكرت الانبياء. وإذا ذكرت لك أنني أنا الذي قمت بتصحيح تجارب الكتاب فقرأته عدة مرات قبل طبعه، رأيت أني أكبر جريرة. لكنني اختلف وإياك، وإن كنت لا أحسب ذلك خلافاً فيما ذكرت عن لابروير وموليير. فما أشك في أنها تأثراً بكتاب اليونان من ذكرت ومن تعرف أكثر مما أعرف لأنك درستهم دراسة خاصة. ولكنني إنما أردت أن مولير ولا بروير لم يتخذا من تاريخ اليونان والرومان إطاراً أدبهما كما فعل راسين وكورني. بل اتخذوا الحياة المحيطة بهما وتأثراً بها إطاراً أدبهما. وهذه خطوة في التحرر من آثار اليونان والرومان مهدت للخطوات التي بعدها. فإن تكن إشارتك يا صديقي إلى طائفة من الخطأ تأخذ به كتابي إنما هي إلى خطأ من هذا النوع، فلهل لا يكون خطأ. ولعلنا نستطيع أن نتفق عليه اتفاقاً على أكثر ما في كتابي من آراء، وليس شيء أحب إلي من أن أتفق وإياك وإن كنت أجد في اختلافنا لذة لا أجدها في خلاف يقع بيني وبين أحد غيرك.

وقد لاحظت يا أخي أن اشتغالي المتصل بالسياسة قد أثر في تصوري الأشياء وفي حكمي عليها بعض الشيء. وذكرت لذلك مثليين: أحدهما أنني أسرفت حين أسأت الظن. بما يكتبه الأورليون

عن حياتنا الأدبية بينما أنت تظن أن «جب»، وأمثاله لا يأخذون السياسة وأهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية. والثاني أنني أسرفت حين أحسنت الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الإنتاج وأنا إنما فعلت ذلك لأرضي المصريين والشرقيين في الأدب كما افعل في السياسة. وإنك أنت ترى هذا شراً لأنه تغيير للحقائق العلمية أرضاء لمصر والشرق، والحقائق آثر عندك من أي شيء. ومن أي إنسان. وأنني لأؤكد لك صادقاً أن الحقائق العلمية آثر عندي أنا أيضاً من كل شيء ومن كل إنسان. وإذا كان اشتغالي المتصل بالسياسة قد أثر في تصوري الأشياء وفي حكمي عليها فأنما كان أثره أن زادني تقليباً للأشياء، وامتحاناً لها وتعمقاً في بحث ما نهطوى عليه وما ترمى إليه، وأنا معك في أن «جب»، وأمثاله لا يتخذون السياسة وأهواءها مقياساً لدراساتهم الأدبية. لكن دراساتهم هذه، ودراسات الكثيرين منهم على الأقل، يقصد بها أكثر الأمر إلى تنوير الساسة من أهل بلادهم، وإلى إطلاعهم على عنصر من عناصر حيوية الشرق هو في رأيهم، وهو في الواقع، أجل هذه العناصر خطراً. فإذا كانت الأهواء السياسية ليست هي التي توجه دراساتهم فدراساتهم يقصد بها في كثير من الأحيان إلى خدمة هذه السياسة وإن قصد بها كذلك إلى أغراض علمية بحثية. وما أحسبك تخالفني يا صديقي في أن كتاب «وجهة الإسلام» الذي ألفه خمسة من كبار المستشرقين المشتغلين بالأدب الحديث في بلاد الشرق المختلفة إنما هو كتاب سياسي مداه بحث ما وصلت إليه أوروبا مما يسميه الاستاذ «جب»، تغريب الشرق، وما يرجي لهذا «التغريب» في المستقبل من نجاح وأنا لا أعيب هؤلاء العلماء المحترمين بهذا بل أحسد لهم عليه أعظم الحسد. فهم به يخدمون أو ظاهرياً ويخدمون العلم ويخدمون الحقيقة من ناحية سياسة بلادهم ومن ناحية الحضارة الغربية التي يريدون أن تظل المدنية الحاكمة في العالم. وهذه الخدمة الجليلة التي يقومون بها لأوطانهم وللعلم ولحضارتهم حقيقة علمية يسر لي اشتغالي بالسياسة الوقوف عليها. ولو أنك اقطعت للسياسة يا صديقي انقطاعي وأفنيت من تفكيرك فيها ما أفنيت أنا لوافقته على هذه الحقيقة ولم تنهني بالأسراف إذ علمتها. وما ذكرت أنا في مقدمة (ثورة الأدب) عن الحضارة التي نعمل جميعاً لبعثها، وهل هي حضارة إسلامية، أم حضارة عربية، واهتمام بعض الطلاب والطالبات الأوربيين برأينا في ذلك وحرصهم على إقناعنا بأنها حضارة عربية، وليست حضارة إسلامية، إذا صدق ظني، ففيه جانب من السياسة يبادل ما فيه من جانب البحث عن الحقيقة العلمية.

من طه الى هيكل

« بقية المنشور على صفحة ٥ »

كرهت ذلك واكتفيت بالإشارة . فإما وانت لاتبج الإشارة ولا ترضى الا التصريح . فأذن لي في ان اضع يدك على طائفة من مواضع الضعف لاني ثورة الادب بل في هذا الكتاب القيم الذي ترد به على في الرسالة اليوم وفي السياسة بعد غد .

فانت تقول في هذا الكتاب « ولست اخفيك » ولعلك توافقني على ان الخير في ان تقول « ولست اخفي عليك » وانت تقول « ويرى انها ما تزال لما نهذا » ولعلك توافقني على ان لما هنا ثقيلة جدا مفسدة للاسلوب لوقوعها هذا الموقع الثاني بين فعلين . وانت تقول « اذ وضعت تحت نظرك هذه العبارة » واطلك توافقني على ان تحت نظرك هذه قريبة جدا الى الابتذال . وانت تقول « لن ارضى لنفسي ان اكون إلا أنا » . ولعلك توافقني على ان الصواب الا اياي .

ومثل هذا كثير ايها الصديق العزيز في هذا الكتاب وفي ثورة الادب . ولعلك ترى ان الخطأ والابتذال شيء ، وان البساطة والايجاز والقوة شيء آخر . وانك تستطيع - ان اردت - ان تكون بسيطا موجزا قويا دون ان تخطئ . او تدنو من الابتذال .

اما بعد فقد اعجبني منك ايها الصديق انك سجلت في كتابك على ثنائي عليك كله تسجيلا . فقيم كان هذا التسجيل ؟

اخاف انت ان انساه ؟ وكيف انسى ما سجلت المطبعة ؟ اخاف انت ان انكره ؟ فثق بانني قد ائنت عليك صادقا وما تعودت أن اعطى باليمين وأسترد بالشمال ؟ بعض هذا المكرو بعض هذا الدماء . فالأمر بينك وبينى ارفع من المكرو وأمتن من الدهاء ، وأوضح من ان يحتاج الى التسجيل والتشديد في الحساب .

اما بعد فهل تأذن لي في ملاحظة يسيرة جداً كنت اود لو لم احتج اليها ، ولكن حياة الأدباء في هذه الأيام تضطرن اليها . كم احب للأدباء الا يضيقوا بالنقد وألا يحفلوا بالرد عليه الا ان تدعو الى ذلك حقيقة علمية لا ينبغي اهمالها ، فاذا يعينك ان يحسن رأى الناس او يسوء في أسلوبك ، فان كان هذا يعينك او يؤذك فالحير في ان تجعل هذا سرأ بينك وبين نفسك لا ان تعلنه الى الناس .

وأنا ارجو ايها الصديق العزيز ان تقبل مني تحية كلها الحب والاعجاب .

طه حسين

اما اني اسرفت متأثراً باشتغالي المتصل بالسياسة في حسن الظن بنا وبحظنا من الخيال وقدرتنا على الانتاج فأحسب صديقي يوافقني على انه اذا زالت عوامل الفتور والضعف مما اشترت اليه في تضاعيف كتابي لما كان فيما قلت شيء من الاسراف . وإذا جاء اليوم الذي ينفسح فيه عندنا ميدان العلم وتزول كل العوائق التي تقف اليوم في سبيله ، والذي تنقرر فيه حرية العاطفة وحرية الحس وحرية الأدب ، والذي يبعث فيه تراث هذا الشرق العظيم ، والذي يكثُر فيه المتعلمون تعليماً صحيحاً منا كثرة تسمح بالنخوص في الأدب والانقطاع لفرع من فروعها ، يومئذ يكون القول بقصورنا في الخيال وفي القوة على الانتاج تخيلاً على هذه البلاد وعلى الحقيقة ، هذا إلا ان تكون يا صديقي من الذين يقولون بان الاوربيين ينتمون إلى الجنس الآري ، وهم لذلك ارق منا ونحن ننتمى الى الجنس السامي بالطبع . وما احسبك تقول بهذا او تعتبره حقيقة كما يود بعض العلماء في اوربا اعتباره ، بل احسبك ترى هذه حقيقة سياسية يراد بترويجها تغريب الشرق والقضاء عليه بامن يبق خاضعاً للغرب الى الابد .

واختم رسالتي هذه اليك يا صديقي بشكرك شكراً لاحد له وبان اشير عليك ان تقرأ كثيراً صغيراً كتبه بول جيبل Paul Gsell عقب وفاة اتول فرانس عنوانه Propos France لثري ما ذكر فيه عن مولير وشكسبير وغيرهما من كبار الكتاب وما قاله بعض النقاد فيهم . واذا كنت انت أكبر من هؤلاء النقاد ، وكنت أنا لاشئ إلى جانب هؤلاء الكتاب الذين خلقهم القدر اعلاماً في حياته الانسانية بل في حياة الوجود كله فان فيما قرأت أنا من ذلك ما عزاني عن اسلوبى ، وعن بعض ما أحدث على بحق من هنات أوكد لك أنى سعدت بتبيينك اليها اكثر ما سعدت بشائلك على . افليست الحياة جهاداً متصلاً نحو السكال ، كل في حدود ما يطيق ، وهل للسكال سبيل الا المجهود المتصل والتهذيب الدائم لهذا المجهود ، وتشذيب ما يند عن الطريق السوى فيه حتى لا تنساق وراء الشذوذ فضل الطريق السوى . وهذا فضل لك جديد اضيفه الى سابق افضالك على وارجوك ان تعتقد انى دائماً

صديقك الوفي المخلص

محمد حسين هيكل

(خطأ مطبعي) ورد في صفحة ٢٦ (لتكن) و (المظنونة) وصوابهما لتكن والمظنون

بعض مطبوعات

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

تطلب من مركز اللجنة بشارع الساحة رقم ٣٩ تليفون ٤٢٩٩٢ ومن . المكاتب الشهيرة

- ١٠ مبادئ الكيمياء الجزء الاول) للدكتورين أحمد زكي وأحمد
١٠ (الثاني) عبد السلام الكرداني
١٢ الكيمياء الحديثة للسنة الخامسة الثانوية للاستاذ أمين
ابراهيم كحيل
٢٠ مبادئ الميكانيكا للسنتين الرابعة والخامسة الثانويتين
للدكتور أحمد عبد السلام الكرداني والاستاذ حسن الجندی
١٦ بسائط الطيران للدكتور احمد عبد السلام الكرداني
٧٥ البصريات الهندسية والطبيعية الاستاذ مصطفى لطيف
١٠ موجز التاريخ الطبيعي في علم الحيوان — مقرر السنة الرابعة
الثانوية للاستاذ محمد كمال
٢٠ تاريخ الادب العربي الاستاذ أحمد حسن الزيات (طبعة رابعة)
٢٥ في الادب الجاهلي للدكتور طه حسين
٢٠ تاريخ اللغات السامية للدكتور اسرائيل ولفنسن
١٥ مرجريت أو غادة الكاميليا ترجمة الدكتور أحمد زكي
١٥ آلام فرتر ترجمة الاستاذ أحمد حسن الزيات
١٥ رفائيل
١٢ قاوست ترجمة الدكتور محمد عوض
٥ هرمن ودرونية ترجمة الدكتور محمد عوض
٧٠ الشاهنامة للدكتور عبد الوهاب عزام
٥ الحاج شلبي للاستاذ محمود تيمور
١٠٠ شرح قانون العقوبات للاستاذ أحمد بك أمين
١٥٠ القضاء الجنائي جزأين للاستاذ علي العراقي
٥٠ عقد الايجار للدكتور عبد الرازق أحمد النهورى
١٥ الامتيازات الاجنبية للاستاذ محمد عبد الباري
١٠ مبادئ الفلسفة ترجمة الاستاذ أحمد أمين
١٥ فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين
- ١٠٠ علم الاخلاق (لارسطو) ترجمة الاستاذ أحمد لطفى السيد بك
٢٠ كتاب الاخلاق للاستاذ أحمد أمين
١٤ كتاب الاخلاق للدارس الثانوية للاستاذ أحمد أمين
٢٠ كتاب الاخلاق لسميلز ترجمة الاستاذ محمد الصادق حسين بك
٢٠ أصول التربية جزء أول
٢٠ أصول التربية جزء ثان
٣٠ أصول علم النفس جزء أول
٢٥ أصول علم النفس جزء ثان
١٠ كتاب الحرية والدولة للاستاذ محمد عبد الباري
١٥ الانتصار في الرد على ابن الرواندى تأليف ابن الحياط
٤٠ الكون والفساد لأرسطو ترجمة الاستاذ أحمد لطفى السيد بك
٢٠ فجر الإسلام طبعة ثانية
٢٠ ضحى الإسلام الجزء الاول
٢٥ القرن التاسع عشر للدكتور حسين حسنى والاستاذ محمد قاسم
٤٠ فتح العرب لمصر لبلتر ترجمة الاستاذ فريد أبو حديد
٢٥ المسألة المصرية لروستين ترجمة الاستاذ عبد الحميد العبادى
والاستاذ محمد بدران
١٠ الثورة الفرنسية للاستاذ حسن جلال
٨ صلاح الدين وعصره للاستاذ محمد فريد أبو حديد
١٥ تاريخ اليهود في بلاد العرب للدكتور اسرائيل (ولفنسن)
١٥ تاريخ العصور الوسطى للاستاذ محمد فريد ابو حديد
٢٥ ديوان التحقيق (محاكم التفتيش) والمحاكمات الكبرى
للاستاذ محمد عبد الله عنان
٢٥ أسباب الحرب العالمية ترجمة الاستاذ محمود ابراهيم الدسوقي
٤٨ سلسلة الجغرافية الحديثة ٥ أجزاء لخسة من كبار الاساتذة
٢٠ حياة نابليون للاستاذ حسن جلال
٣٠ نهر النيل للدكتور محمد عوض